روايات أحلام

بحرٌ بلا قلبٍ

مارغريت كاين

www.elromancia.com
مرمورية

بحر بلا قلب

مارغريت كاين

«ستكونين سندريلا مدة ثلاثة أسابيع، دون ساعة تدق منذرة عند الثانية عشرة ليلاً».

هذا ما قالته كاترين لافريل عندما أقنعتها بالانضمام إلى رحلة بحرية عبر مياه المتوسط على متن يخت أحد الأثرياء.

كانت الدعوة لفتاة كأفريل فرصة ذهبية، مغرية، لكن أعمالها كانت تمنعها عن تحقيق الدعوة، وأمام الحاح كاترين التي ستحرم من الرحلة إن لم ترافقها وافقت أخيراً.

لكن مفاجأة كبيرة كانت تنتظرها على متن اليخت، فهي ليست في رحلة استجمام، إنما في رحلة تكون فيها رفيقة كارلوس بريوري الشاب الوسيم ومع ذلك لم تجد في هذا رغبة كارلوس

فهل ستتمكن من النجاة من هذ

السعر ١٥٠٠ ل.ل.

١ ـ رحلة العمر

سحبت افريل كارينترالورقة من آلة الطباعة، ثم تناولت سماعة الهاتف شاكرة ربها لأنها لا تملك سوى يدين اثنتين والا لوجب عليها المزيد من العمل. ولم تكن افريل من اللاتي يكرهن العمل انما كانت ترغب في ساعة واحدة لا يقاطعها فيها احد ليتسنى لها متابعة عملها اليدوي في طباعة الفواتير وما شابه لتعدّ بعد ذلك المال فتسجله في الدفاتر.

راحت تفكر مقطبة الجبين بوضعهم الحالي وبحاجتهم الى المال فهذا المكتب الصغير جزء من استديو تصوير تملكه باتريسيا بالمر، التي تعد من امهر المصورات ومع ذلك كانت اعمالها قليلة، وهي عندما وظفت افريل سكرتيرة وعاملة استعلامات تركت لها بعد اسابيع قليلة، أمور الاستديو المالية.

كانت افريل تتعاطى بحزم مع طلب لمجلة تطلب خدمات باتريسيا، فراحت تؤكد لهم ان الآنسة بالمر لن تلبي طلباتهم ما لم يسددوا الفواتير الثلاثة المتوجبة عليهم. فكان ان وصلتها رسالة من المجلة تعد بإرسال الشيك بعد ظهر هذا اليوم مع رسول خاص.

عندها تنهدت بسعادة مُمَرِّرة طرف القلم على صدغها : «اوه.. انه الطرف الخاطىء»، لأن القلم ترك خطاً على بشرتها البيضاء الشفافة «بشرة كاللؤلؤ»، هذا ما قالته باتريسيا عندما بدأت العمل عندها.

ـ يمكن ان تكوني أنموذج تصوير رائع.. هل فكرت بهذا العمل يوماً؟

ـ انها آخر مهنة قد أفكر فيها.

ولم تجد افريل سبباً يحدوها الى تغيير رأيها خلال السنتين المنصرمتين وبالأمس فقط قالت لها باتريسيا :

ـ مشكلتك، انك لا زلت قلبياً تشعرين بانك ابنة كاهن.

ـ وقد ابقى هكذا طوال حياتي.

كانت تعلم ان من العبث جعل باتريسيا، وهي مطلقة في الاربعينات، تدرك أنها رغم هروبها الدؤوب من ماضيها، تنظر اليه بسعادة.

كانت افريل تعمل سكرتيرة في بلدتها الصغيرة حيث ترجع مساءً الى منزل والدها الكهنوتي، وهو منزل كبير كانت تديره بمساعدة مدبرة منزل مسنة، الا ان موت والدها الفجائي إثر نوبة قلبية هشم حياتها الهادئة. وكان اهل القرية قد اعتقدوا انها ستنتقل الى سكن آخر، كي تخلي المنزل للقس الجديد، متابعة نمط عيشها السابق، لكن تلك الثروة التي ورثتها على غير توقع من والدها جعلتها تقرر السفر الى لندن بغية رؤية حياة الناس في العالم الآخر. ورغم التجربة التي اكتسبتها ما زالت باتريسيا تحسبها فتاة ساذجة، لكنها هي وحدها تعلم انها قد اصبحت أكثر حنكة من الفتاة التي وصلت الى هنا منذ سنتين. ولم يلبث ان دخلت من كانت تفكر بها، امرأة صغيرة الجسم ذات وجه مفعم بالنشاط وشعر أسود لماع، قائلة :

ـ يجب ان توظفي احداً ليجيب عن المخابرات الهاتفية التي لم تتوقف عن الرنين فترة قبل الظهر كله.

ـ لا نستطيع تحمل راتباً جديداً، انتظري الى ان نبتعد عن الخط الاحمر قليلاً.

ـ كوني شاكرة لأننا خرجنا من الازمة ! لو لم تلاحقي الزبائن

لتسديد فواتيرهم لأفلست.

ـ لن تفلسي ولديك هذه الموهبة العظيمة.

لاحظت افريل شحوب بشرة ربة عملها فقالت :

ـ هل انت بخير يا باتريسيا؟

ـ أشعر بألم في المعدة، لعل سببه أكلة لم توافق معدتي.

تناهى الى مسامعها وقع خطوات تبعها دخول فتاتين، فتحولت باتريسيا فوراً الى رسميات المهنة :

ـ غيرا ملابسكما وادخلا الى الاستديو، انت أولاً ثم تليك كاترين.

جلست كاترين على الكرسي قائلة :

ـ كم كانت نهاية هذا الاسبوع متعبة، فلم اخلد للنوم قبل الرابعة صباحاً، بسبب راو بروميللي الذي كان في لندن.

ـ لا تدعي باتريسيا تسمعك، فستغضب لأنك محجوزة لتصوير اعلانات الصابون هذا الصباح.

ـ سأغطي الخطوط في وجهي برغوة الصابون.

قالت تلك الكلمات ثم ضحكت ضحكة خفيفة اظهرتها أكثر جمالاً.

كانت فتاة طويلة ونحيلة ذات شعر احمر مشرق، وعينين كهرمانيتين فاتحتين وهذا ما جعلها احدى اشهر نماذج التصوير في الموسم الحالي، ومع انها كانت ودودة على الدوام مع افريل الا انها المرة الاولى التي تجلس معها محدّثة، وتابعت كلامها :

ـ في الواقع انا في ورطة بسيطة، وآمل ان تستطيعي اخراجي منها.

نظرت افريل فوراً الى دفتر المواعيد، فتابعت كاترين :

ـ لا انا لا اريد ان ألغي أي موعد. انا ابحث عن فتاة ترافقني في

عطلة. . واعتقد انك الرفيقة المثالية.

ـ أنا؟

ـ لا تندهشي هكذا، راو دعاني الى رحلة بحرية على متن يخته، ولكنه اصر على ان اصطحب صديقة لي معي.

ـ ومن هو راو؟

ـ راو بروميللي. . انت تعرفينه، انه صاحب مؤسسة «كيماويات بروميللي».

ـ لا اعرفه. . انه من غير طبقتي.

ـ لن يكون من غير طبقتك لو اعتنيت بنفسك بعض الشيء، ففتاة مثلك بهذا القدر من الجمال قادرة على الاستفادة من هذه الهبة التي منحها اياها الخالق. انت اجمل من نصف الفتيات اللواتي يأتين الى هنا بقصد التصوير و. .

ـ كنت تخبرينني عن عطلتك.

ـ ان بقي الحال على ما هو الآن فمن الصعب الحصول على عطلة لأن الفتاة التي كان من المقرر ان ترافقني خذلتني. . لقد تزوجت. . وهذا يعني أن علي البحث عن رفيقة اخرى خلال هذه الأيام الأربعة.

ـ من اليسر ايجاد بديلة أخرى لأن الرحلات البحرية يصعب الحصول عليها بسهولة.

ـ أعلم، إلا ان الوقت يداهمني، فصديقاتي كلهن مرتبطات بمواعيد اخرى لذا انت الوحيدة القادرة على مساعدتي. ألا ترغبين في تمضية ثلاثة أسابيع في رحلة بحرية على المتوسط على متن يخت خاص؟

ـ هذا ذروة أحلام اليقظة التي قد احلم بها لو كنت من اولئك الحالمات. ولكن لسوء الحظ ان لدي عملاً، وعطلتي لن تكون قبل

شهرين.

ـ أنا واثقة من ان بإمكان باتريسيا استبدالك مؤقتاً.

ـ ربما، ولكنني لا أنوي طلب ذلك منها.

ـ أنت مجنونة ! فأمامك فرصة رائعة لا تعوض. فراو لطيف يحب ان تحيطه النساء الجميلات وهذا لا يعني انه ذئب ما لم تدفعه إحداهن الى ذلك.

ـ ولماذا لا تذهبين وحدك؟

ـ لقد قلت لك انه طلب مني بإصرار ان آخذ معي صديقة، وسيغضب ان لم افعل.

ـ أيشترط ان تكون معك رفيقة ما؟

ابتسمت كاترين :

ـ هذه هي المسألة تحديداً ولعلك الآن فهمت أهمية الأمر بالنسبة لي، فإن لم اجد رفيقة ما، فسيدعو راو فتاتين أخريين. إنها رحلة رائعة. . تشمل الموانىء الفرنسية الصغيرة، والكوت دازور، والجزر اليونانية.

ـ لا تقولي المزيد. . لو كنت هنا سكرتيرة فقط لطلبت من باتريسيا ان تجد بديلة مؤقتة، ولكنني اقوم بمسك دفاتر المحاسبة، والأرشيف. ولا استطيع ترك العمل خلال يومي انذار فقط.

هزت كاترين جونسون كتفيها بغضب ثم دخلت غرفة الملابس.

تناولت افريل طعامها بسرعة في مقهى قريب من مقر عملها ثم توجهت بعد ذلك الى المكتب فوجدت باتريسيا تعمل، وقد دلها شحوب وجه الأخيرة الى انها لم تتوقف عن العمل لحظة، فقالت لها :

ـ سأحضر لك سندويشاً وفنجان قهوة.

ـ لا اريد ان آكل. . تكفيني القهوة.

اسرعت افريل الى ملء ابريق القهوة الكهربائي بعد ان اختفت باتريسيا داخل غرفة التظهير المظلمة وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت ارتطام شيء وتحطمه، صادر عن تلك الغرفة المظلمة، تريثت قليلاً بانتظار ان تسمع صوتاً آخر فهي لا تستطيع الدخول الى هناك لأن ذلك محظر عليها.

وبعد ان انهت تحضير القهوة صبتها في الفنجان ثم قرعت الباب، فكان الصمت المطبق، فأعادت القرع ثانية بقوة أكبر.

ـ باتريسيا، لقد أحضرت القهوة لك.

سمعت افريل صوتاً خافتاً ينبعث من الداخل فاسرعت الى فتح الباب وبعد ان اعتاد نظرها الضوء الاحمر الخافت دخلت بهدوء لكنها سرعان ما ركضت عندما وجدت صينية تظهير كبيرة ملقاة على الأرض، والصور مبعثرة من حولها. إلا ان ما حداها الركض رؤيتها المرأة المستلقية وسط كل هذه الفوضى، وهي تتلوى متأوهة.

ـ باتريسيا. . ما بك؟ الا تستطيعين الوقوف؟

ـ لا استطيع الآن، أشعر بآلام مبرحة في خاصرتي.

ـ أهي الزائدة؟ ألم تستأصليها؟

هزت باتريسيا رأسها نافية وبعد جهد جهيد استطاعت الوقوف جارّة نفسها الى المكتب جراً.

ـ أخشى ان تكوني على حق، حاولت ان اخدع نفسي موهمة اياها ان السبب شيء أكلته. ولكن . . .

عاد الألم ثانية، فتأوهت منحنية فكان ان سارعت افريل متناولة بطاقة الطوارىء واتصلت بالطبيب الذي اخبرتها السكرتيرة انه يجول على مرضاه، ثم تابعت السكرتيرة ذاكرة الارشادات التي يتوجب عليها اتباعها. بعد ان وضعت السماعة من يدها تناولت معطفها.

ـ سنذهب الى قسم الطوارىء في المستشفى ! هل تستطيعين النزول كي نأخذ سيارة اجرة؟

بعد ساعة، مرت عليها كدهر، سمعت افريل ربة عملها الممددة على عربة المستشفى، تقول لها قبل دخولها الى غرفة العمليات :

ـ اغلقي الاستديو والغي مواعيد الاسبوع القادم كلها.

ـ بل سألغي مواعيد الاسبوعين القادمين، دعك الآن من القلق فسأتولى كل شيء.

ـ اذهبي الى المكتب ونفذي ما قلته لك، لا أريدك ان تنتظري هنا.

كانت هذه مهمة محزنة لها، لأنها خشيت ان يذهب الزبائن الى غير رجعة لذلك اكدت للجميع ان الاستديو سيعود الى العمل ما إن تتحسن صحة باتريسيا.

في الصباح التالي تكدرت افريل بعد ان زارت باتريسيا التي قالت لها :

ـ الطبيب هددني بأوخم العواقب إذا عاودت العمل قبل نهاية هذا الشهر.

ـ انا سعيدة لأن احدهم اجبرك على التعقل، فما فائدة بناء عمل ما اذا كان صاحبه سيموت قبل تحقيق النجاح.

ـ لا جدوى من بنائه في الوقت الحالي. لكنني اتمنى ان أكون محظوظة فأستعيد زبوناً واحداً فقط من زبائني.

ـ كلام سخيف دعك منه، ربما خسرت بعض الزبائن ولعلهم ممن تريدين الخلاص منهم، واعلمي ان الزبائن الذين يعجبهم عملك لن يتركوك وسيعودون إليك ما ان تبرئي من مرضك.

ـ لا اهتم بما سيفعلونه الآن. . اعتقد ان عليك ايجاد وظيفة اخرى.

ـ لا أنوي البحث عن وظيفة اخرى. . إلا اذا طردتني وكل ما سأفعله انني سأستبق موعد اجازتي. . لقد تلقيت دعوة لرحلة بحرية، وكنت قد رفضتها بسبب أعمالنا الكثيرة، وبما ان الاستديو سيقفل حتما فسأذهب في تلك الرحلة.

ـ لم تحدثيني عن هذه الرحلة من قبل.

ـ لقد تلقيت الدعوة بالامس فقط، لقد دعتني كاترين جونسون!

ـ تبدو الدعوة جيدة. . هل انت واثقة ان لا ارتباطات من ورائها؟

ـ ليس بالنسبة لي، فالسيد بروميللي صديق كاترين قد طلب منها إحضار مرافقة لها.

ـ رجال من هذا النوع لا يهتمون عادة بالمرافقات!

ـ من الواضح ان السيد بروميللي مختلف.

وحاولت باتريسيا متابعة الكلام، الا ان ظهور الممرضة منعها عن ذلك فكان ان استغلت افريل الفرصة لتنسحب قبل ان تغير باتريسيا رأيها.

اتصلت افريل بكاترين لتعطيها موافقتها على الذهاب فأكدت تلك الأخيرة قائلة:

ـ أعدك بأن لا تندمي. . . هل اقفلت الاستديو؟

ـ اجل. . مدة شهر على الاقل.

ـ هذا يعني انه بإمكانك مرافقتي للتسوق. لاقيني عند «هارولد» ظهر الغد.

انبأتها الكلمات الاولى التي تفوهت بها كاترين الى ان الفتاة تنوي شراء أشياء كثيرة.

ـ سوف نشتري خزانة ثياب كاملة، لك انت لا لي انا لأنني

أملك الكثير من الملابس.

ـ لا استطيع تحمّل شراء الكثير.

ـ راو سيدفع لك.

ـ لا استطيع قبول المال من السيد بروميللي.

ـ المال ليس من راو. إنه مني. وكما قلت لك، يريدني ان اصطحب رفيقة وهو يتوقع بالطبع مرافقة ترتدي افخر الثياب، وسيتكدر اذا وجدك لا تملكين الثياب الملائمة، فانت تعرفين مدى غرور الرجال الايطاليين.

ـ لحسن الحظ انني لا اعرف. وانا سعيدة لجهلي هذا.

ـ لا تكوني سخيفة، فكري بالامر قليلاً، فأنت ستستلقين على ظهر يخت رائع، ستبقين مستلقية على ظهر اليخت وحولك الخدم. ستكونين سندريللا، مدة ثلاثة أسابيع. دون ساعة تدق منذرة عند الثانية عشرة ليلاً.

شعرت افريل وكأنها علاء الدين في كهفه، حيث كانت كاترين تأخذها من محل فخم الى آخر أكثر فخامة، تشتري الثياب دون ان تراعي ذوق احد، مختارة ألواناً ما كانت افريل لتنتقيها يوماً.

في وقت متأخر من ذلك النهار، اخذت افريل تحدق الى جبل المشتريات المكوم فوق سريرها، مدركة قيمة المبلغ الضخم الذي دفعته كاترين، هذا المبلغ الذي يعتبر بالنسبة لبروميللي رشة ملح لا أكثر. ومع ذلك انتابها شعور بالذنب والارباك فراحت تتساءل عن قدرتها على التفاعل والانسجام مع ذلك الجو. وان كان بروميللي يتوقع فتاة تشبه كاترين فسيتفاجأ كثيراً.

يوم سفرهما تأملت افريل انعكاس المرآة لفتاة شقراء أنيقة، غريبة وتساءلت عن سبب هذا التغيير كله: أهي الملابس ام تصفيفة الشعر الجديدة، ام الماكياج. كل ما عرفته انها كادت لا تعرف

نفسها.

قالت لها كاترين عندما رأتها :

ـ هذا رائع. . أحسنت صنعاً بعدم وضعك شيئاً من المساحيق على هذه البشرة الرائعة التي من الجرم اخفائها. واراهن بانك لن تعودي الا وانت مخطوبة من مليونير.

ـ هل سيرافقنا آخرون؟

ـ فئة قليلة تجاهليها ان شئت ذلك. فرحلات راو عادة غير رسمية.

ضحكت كاترين ثم تابعت :

ـ تبدين وكأنك ذاهبة الى موت محتم لا الى عطلة رائعة.

ـ انا متوترة حقاً. . وانا واثقة من انني لن اتمكن من قول ما هو ملائم للسيد بروميللي او لأصدقائه.

ـ بهذا المظهر الساحر لن تحتاجي الى الكلام اطلاقاً. بل انا اخشى ان يفضلك راو عليّ.

ـ بالطبع لن يفعل !

ـ لن امانع اذا فعل.

قالت تلك الكلمات ثم صمتت مخفية شيئاً في اعماقها. فتساءلت افريل عن الامر إلا ان الاثارة التي كانت تشعر بها جعلتها لا تبالي بذلك.

حلقت بهما الطائرة فوق غيوم لندن نحو السماء الزرقاء الصافية التي استمرت هكذا الى أن قطعا فرنسا وجبال الالب الى الكوت دازور، فتمتمت كاترين :

ـ العطلة ستبدأ الآن.

وما ان حطت الطائرة في مدرج مطار نيس حتى قالت كاترين :

ـ فكي حزام الأمان يا افريل. . سوف نذهب في طريقنا الآن !

٢ ـ ضريبة السذاجة

كان اليخت راسياً على مسافة قريبة من ميناء «انتيبس» أبيض متألقاً، ودرابزينه النحاسية تلمع تحت اشعة الشمس، فبدا ان من الصعب ان يكون هذا الشيء الساحر مكان اقامتها لثلاثة اسابيع قادمة.

حملهما زورق متألق من الميناء فوق البحر الازرق الى اليخت، وتسلقت افريل بعصبية خلف كاترين، السلم الضيق الذي يصل الى سطح اليخت حيث وجدا رجلاً أدكن البشرة فحياهما وهو يقدم نفسه لافريل قائلاً انه راو بروميللي، وقد بدا أكبر مما تصورت، فهو في العقد الخامس من عمره، ذو شعر اسود يخالطه الشيب، ووجه شاحب قاسي الملامح بارز التقاطيع، وقامة قصيرة وكتفين عريضين أظهراه أكثر ضخامة. كان ذا شخصية مؤثرة أثرت بافريل عندما وضع يدها في قبضة قوية ليهزها مصافحاً.

ـ اهلاً بك على متن «ميسترال» الذي سيصبح من الآن فصاعداً منزلك الرحب. فاطلبي ما شئت.

ـ هذا لطف كبير منك سيد بروميللي.

ـ اسمي راو. . وما اسمك؟

ـ افريل كارينتر.

ـ وهل انت نموذج تصوير أيضاً؟

أجابته كاترين قبل ان تتمكن افريل من الرد :

ـ نعم. . .

ثم امسكت بذراعها لتقودها الى سلم قصير يؤدي الى السطح

التالي حيث غرف الإقامة الرئيسية علماً ان هذه الكلمات لا تصف اطلاقاً الجناح الرائع الذي وجدت نفسها فيه. ولولا منظر البحر الازرق اللامع الذي كانت تراه من خلال الفتحات، لاعتقدت انها في فندق فخم. سألتها كاترين :

ـ هل اعجبك؟

ـ الكلمات لا تفي وصفه، وانا على يقين من انني في حلم قد استفيق منه اذا قرصت نفسي.

ـ آن لك ان تستفيقي من سباتك لتلعبي اوراقك جيداً، عندها ستعيشين هذه الحياة المترفة دائماً.

ـ لم افهم قصدك.

هزت كاترين كتفيها دون اكتراث وتوجهت نحو الباب قائلة :

ـ عندما ترتبين اغراضك، ارتدي ثياباً خفيفة واخرجي الى السطح. فراو يحب أن يرى الجميع يتصرفون وكأنهم في بيوتهم.

ما ان انتهت افريل من توضيب ثيابها، حتى ارتدت ثوباً خفيفاً، فجأة أحست باليخت يتأرجح قليلاً فاعتقدت ان اليخت قد رفع مرساته ويوشك على المسير. واسرعت الى كوة النافذة لتنظر الى البحر، فوجدت أثراً من الزبد يتركه اليخت أثناء سيره فضحكت مسرورة ثم اسرعت الى الخارج.

وما ان وصلت السطح حتى توقفت، متمنية الذهاب الى مقصورة كاترين الا ان راو بروميللي ناداها، فتحركت الى الأمام مترددة. لكنها اطمأنت عندما شاهدت كاترين تستلقي فوق كرسي نوم طويل الى جانب عدة أشخاص آخرين.

فقد كان هناك إضافة الى راو وكاترين رجلان وفتاة سمراء البشرة دكناء العينين ذات شعر أسود طويل. تقدم منها راو ليقودها الى الامام قائلاً :

ـ تعالي وقابلي اصدقائي.. هذه ماريا.. لن اذكر كنيتها لانني اجد صعوبة في نطقه. إنها نموذج تصوير مثلك..

قالت لها ماريا بلكنة أميركية قوية :

ـ مرحباً.. أهلاً بك على متن «ميسترال».

ثم تابع راو التعارف :

ـ وهذا أمادو فاليرو وهذا كارلو بريوري. امادو مرتبط بماريا، لذا امام كارلو اختيار إحداكما.

ثم اشار اليها والى كاترين، بعد ذلك تابع ضاحكاً :

ـ ومهما كان اختياره فسأكون راضياً بنصيبي.

احمرت وجنتا افريل من جراء كلماته هذه لكنها وجدت كاترين ترد على راو بابتسامة وكأنها تعتبر قوله مديحاً واطراء :

ـ كان كارلو يقول منذ قليل انه يفضل الشقراوات، وهذا يبعدني عنه.

سأله راو :

ـ أصحيح ما تقوله كاترين يا كارلو؟

هز الرجل رأسه بالايجاب، فضحك راو بسرور وجلس على فراش على الارض جاذباً كاترين لتقعد بقربه.

أما افريل فوقفت مترددة حائرة اين ستجلس. فامادو وماريا ذهبا الى جانب اليخت ليتأملا منظر البحر. وكارلو بريوري بقي حيث هو مستلقياً على الكرسي، تخفي وجهه نظارة كنظارتها سوداء كبيرة لا تخفي عمره حيث بدا أصغر سناً من مضيفه، بهي الطلعة، ذا شعر اسود وجسد طويل مليء بالعضلات المفتولة يتخلل ساعديه وصدره شعر غير كثيف. وقبل ان تشيح بوجهها عنه رأته يشير الى الكرسي القريب منه ولأنها وجدت انه من المستحيل الوقوف على هذا النحو وسط السطح، جلست على المقعد المشار اليه حيث

اصبحت قريبة منه الى حد لا تريده، لكنه بقي ينظر أمامه غير مبال بها اطلاقاً.

ومر الوقت سريعاً. كان اليخت خلاله يتحرك بنعومة فوق الامواج، والهواء الدافىء ينثر رذاذ البحر فوق بشرتها وشعرها. . . راحت تفكر بهذه الاسابيع التي ستمضيها هنا بصحبة الشمس الحارة والبحر المتلألىء. يا لها من نعمة حقاً.

لا بد أنها قد اغفت. فقد ايقظتها حركة خفيفة، ففتحت عينيها لتجد احد السقاة منحنياً فوقها وهو يحمل صينية، شكرته بعد ان أخذت الشراب البارد ثم راقبته وهو يستدير الى رفيقها متحدثاً إليه بالايطالية، حيث جاءته الاجابة باللغة نفسها فابتسم واسرع مبتعداً، ليعود بعد قليل بكوب طويل فيه شراب اخضر بارد. ارتشفت افريل قليلاً من شرابها وهي تتساءل عما اذا كان رفيقها يجيد الانكليزية. فلعله لم يكلمها بسبب ذلك. تنهدت وهي تفكر بالصعوبات التي ستلاقيها في التفاهم مع شخص لا يتكلم لغتها. ولكن ان كان يجيد الفرنسية فسيسهل الامر.

قالت له بالفرنسية :

ـ انا لا اتكلم الايطالية. . هل تجيد الفرنسية. . أنا. . .

واجابها بانكليزية ممتازة لا يتقنها الا الرجل الانكليزي :

ـ أجيد الانكليزية.

ـ هل انت انكليزي !

ـ يؤسفني ان اخيب ظنك.

ـ لا لم تخيب ظني بل انني مسرورة، لانني اعتقدت للحظات انني سألاقي صعوبة في التحدث معك.

ـ افهم شعورك.

قد يكون انكليزي التنشئة لكن مظهره يدل على إيطاليته !

أجبرت نفسها على تجاهل نظراته المتفحصة.

ـ لو تكلمت معي قبل الآن لعرفت انك انكليزي.

ـ كنت انتظرك لتسليني.

ـ لم اكن اعلم ان هذا من واجباتي.

ـ أليس من واجباتك تسليتي؟

ـ ربما اكون انا من ينتظر منك ان تسليني.

ـ في هذه الحالة سأفعل. تعالي. . .

وقف بسرعة، دون ان ينظر ما اذا كانت قد تبعته أم لا. . التقطت عن السطح بضع حلقات فقال لها عندما اقتربت منه :

ـ اترانين بجنيه على كل لعبة؟

ـ لن استطيع الدفع لك ان خسرت.

ـ انا واثق من انك ستجدين طريقة ما للدفع.

تجاهلت ملاحظته ثانية ثم اخذت الحلقات من يده ورمتها عبر السطح الى علامات مرسومة على الارض. وقال وهو يراقب الحلقات المطاطية :

ـ سوف تدينين لي بشروة في هذه اللعبة. أرى انك لم تلعبي هذه اللعبة من قبل.

ـ لكنني لم اكن على متن مركب من قبل. . فهذه رحلتي الاولى.

ـ ألهذا السبب تبدو الاثارة عليك؟

ـ أكانت الاثارة واضحة؟

ـ أجل. . لكنني لم اعرف ما اذا كان السبب أصحاب الملايين الثلاثة أم تحرك اليخت.

ـ لم اكن اعلم انكم من اصحاب الملايين، فما اعرفه ان السيد راو مليونير.

ـ امادو يملك شركة «منسوجات فالميرو».
ـ وانت ماذا تملك سيد بريوري.
ـ الا تعرفين؟
ـ ما كنت لأسأل لو كنت اعرف.
ـ لا تقولي إنك لم تسمعي بشركة «ملاحة بريوري»؟ كنت اعتقد ان مثيلاتك لا يهمهن سوى معرفة اسماء الاثرياء العازبين.
قوله هذا لم يترك عندها شك بعدائيته لذا ادارت له ظهرها مبتعدة عنه نحو الحاجز النحاسي. كيف يجرؤ على التحدث اليها بهذه الطريقة؟ سمعت حركة خلفها فعرفت انه تقدم ليقف الى جانبها.
ـ آسف اذا كنت قد ازعجتك. ما كنت اعرف انك حساسة الى هذه الدرجة.
ـ لكنك اردت مهاجمتي بقولك ذاك.
استدارت كي تتجاوزه فمنعها معتذراً :
ـ أرجوك سامحيني. أنا آسف فعلاً.
قبلت اعتذاره بهزة رأس بعد ان وجدت ان من غير اللائق رفض اعتذاره، ومع ذلك ارادت ان تكمل طريقها قائلة :
ـ انا لا احب اللعب معك بهذه اللعبة.
ـ سوف تستمتعين بها عندما تتعلمينها. . دعيني اعلمك.
ـ حاول مع شخص آخر.
ـ انت شريكتي. . .
وضع يده، بلطف ممزوج بإصرار، تحت كوعها مما اضطرها الى ان تتبعه نحو المكان الذي دهن به السطح بالمربعات. وخلال الساعة التالية علمها كيفية رمي الحلقات لتقع ضمن المربعات لا خارجها. وكانت خلال ذلك تشعر بقربه منها، وبيده فوق يدها وهو يقود

معصمها. لكنها انشغلت سريعاً باللعبة، وشعرت بالسرور عندما تمكنت من رمي الحلقات ببراعة كافية. بعد ان ربحت ثلاث مرات متتاليات اعلن هزيمته قائلاً :
ـ سأثأر منك غداً.
ـ لكنك ربحت اكثر مما ربحت اتريدني ان ادفع الآن أم فيما بعد؟
ـ لننتظر حتى نهاية رحلتنا. فانا واثق من انني عندها سأكون مديناً لك.
أحست بان وراء ملاحظته هذه شيء لم تفهمه. فقررت ان لا تكمل الحديث.
ـ أظنني سأعود الى مقصورتي لأستحم.
ـ فكرة رائعة. سأحذو حذوك.
نزلت الى السطح التالي وتوقفت عندما شكت بالطريق فقال لها وهو يدلها على بابها :
ـ من هنا.
فسألته :
ـ وكيف تعرف ان هذه غرفتي؟
ـ لأن غرفتي متاخمة لغرفتك.
ـ اتعني انني اعلق ثيابي على حائطك؟
ـ وهناك باب بينهما ايضاً.
عضت شفتها قائلة :
ـ لم ألاحظ هذا. كنت مشغولة بإخراج حقائبي. . اعتقد ان الابواب بين المقصورات امر عادي على المراكب. . .
ـ اني اجد الأمر مقرفاً، اذ ليس كل الناس سواء، لانني من الذين لا يحبون الاتصال المستمر بل انا أملُ المرأة بعد. .

وتوقف عن الكلام محدقاً اليها، هنا شعرت انها ما عادت تطيق صبراً ولا يمكنها تجاهل هذه الاشارة فسألته :

ـ بعد ماذا سيد بريوري؟

ـ بعد ان انتهي من مغازلتها.

تصريحه الواضح صدمها فقالت :

ـ أنت غير مهذب !

ـ الا تعجبك الصراحة؟

ـ انها وقاحة لا صراحة.

ـ انا آسف اذا كنت لا تحبين الحقيقة.

ـ اية حقيقة؟ منذ ان تعارفنا وانت تقول لي ملاحظات غريبة. في البداية اعتقدت انني أسأت فهمك لكنني الآن متيقنة انني لم اخطىء الفهم، فهل لك ان تفسر قصدك؟

ـ ماذا افسر؟

ـ تفسر تلميحاتك المخزية التي تظهرني وكأنني. . . وكأنني. . .

وفتشت عن كلمات مناسبة حتى وجدتها اخيراً.

ـ وكأنني هنا لإرضاء رغباتك.

ـ كنت أظن ذلك.

ـ كيف تجرؤ على مثل هذا القول.

ووقفت مستعدة، فأسرع ليمسك ذراعها خوفاً من ان تضربه فأخذت تنظر الى أصابعه الضاغطة على ذراعها. ثم قالت :

ـ ما نويت ضربك، يبدو لي انك معتاد على هذه الردود من جراء اخطائك العديدة.

ـ انت حساسة كثيراً بالنسبة لمن هن مثلك.

ـ أرجوك، لا تتابع قولك هذا الذي أجده مقززاً حقيراً.

ـ أنا اجده كذلك، لكنني اعتقد ان هذا امر طبيعي في رحلات

راو. . .

ـ اذا كنت لا تحب اصدقاءه فلماذا اتيت؟

ـ انني اسألك السؤال نفسه ! يبدو ان لنا اسباباً خاصة، علماً ان اسبابك في غاية التكتم.

ترك ذراعها قائلاً :

ـ سأراك في غرفة الاستقبال. . راو يحب ان نجتمع هناك قبل العشاء.

بعد ان استدار منصرفاً، دخلت افريل الى غرفتها حيث غرقت في اقرب مقعد، تفكر في غبائها. فلو اعطيت جوائز للسذاجة لنالت الجائزة الاولى دون منازع. لقد كانت مجنونة غبية عندما قبلت تعليل كاترين ذاك. يا له من مزاح ثقيل ! ان هذا الرجل المسمى راو ليس أكثر من قواد يعتبر نفسه مضيفاً يقدم التسلية لضيوفه ! هذه الفكرة جعلت فرائصها ترتعد، لذا رأت ان عليها الاسراع في الخروج من هذه الورطة في اقرب فرصة فاسرعت الى غرفة كاترين فلم تجدها فيها وبعد تردد قصير همت بالخروج فاذا بكاترين تدخل والدهشة على وجهها :

ـ هل اتيت لتتحدثي عن كارلو؟

ـ أجل. . لكن فكرك ذهب في الاتجاه الخاطىء. كيف تجرأت على اقحامي في هذه الرحلة دون ان تخبريني عن حقيقة الوضع.

ـ حسبتك تمثلين دور الساذجة الغبية.

ـ هل اعتقدت انني كنت لأقبل المجيء لو عرفت حقيقة الأمر؟

ـ ولم لا؟ إنها عطلة رائعة، ستؤمن لك مرحاً كبيراً.

ـ أمرح ! سأنزل من اليخت في الميناء القادم.

ـ هذا لن يتم قبل أيام.

ـ سأطلب من السيد بروميللي ان ينزلني في اسرع وقت ممكن.

www.elromancia.com

اذ اننا غير بعيدين عن الشاطىء. لذا من السهل إنزالي الى الشاطىء غداً.

ـ بالله عليك، انضجي قليلاً ! أمامك فرصة لا تفوت فأنّى لك التصرف بغباء؟

ـ سأكون غبية لو بقيت هنا. . . انا لا انتقدك اطلاقاً. قد تعتقدينني غبية لكنني فتاة تربت تربية معينة لا توافقها حياتكم هذه كما انني غير مستعدة لأغير شيئاً من مبادئي.

ـ وماذا تظنين ان راو سيقول؟ خذي الامر من وجهة نظري. اذا ذهبت وتركتني، فسيغضب مني.

ـ لا أرى سبباً لغضبه.

ـ السبب كارلو الذي سيصبح دون رفيقة.

ـ كان عليك التفكير بذلك قبل ان تحضريني الى هنا.

ـ لو اخبرتك الحقيقة لما جئت معي.

ـ ها انت تعترفين بانك خدعتني؟

ـ وان يكن ! حسبتك ستغيرين رأيك عندما تصلين الى اليخت كما انني لا ارى خطأ في قضاء وقت ممتع.

ـ هذا ان كان ممتعاً حقاً، لانني اجده مقرفاً. يؤسفني ان اقول لك انني لن ابقى هنا.

ـ هل اخبرت احداً آخر عن هذا الامر.

ـ اخبرت كارلوس بريوري.

ـ إن اخبر راو قبل ان اخبره فقد يدفعني الثمن ! راو معجب بك يا افريل، وانا واثقة من ان امله قد خاب عندما فضلك كارلوس. . فلو لم يفعل. . لكان حصل. . .

وصاحت بها افريل. . .

ـ لا تكملي هذا !

أحست بالقشعريرة لما قالته كاترين، لذا اسرعت عائدة الى غرفتها، وما ان وصلت حتى اخذت تفكر بالبحث عن راو لتتوسله كي ينزلها الى اقرب شاطىء، لكن ذهابها الى غرفته امر غير حكيم. لذا بدلت ملابسها بعد ان استحمت، مختارة ما يروق ذاك الرجل، علماً أنها كانت تفضل ان ترتدي ثوباً من أثوابها الخاصة لكن ما يؤسف انها لم تحضر معها شيئاً منها.

ملأتها الفكرة بالخجل، لذا ارتدت اقل الأثواب جاذبية، ولكن الفستان الاسود الذي اختارته ابرز جمال جسدها المتناسق، وجعلها تبدو أكثر سحراً وهذا ما زاد حنقها، ولأنها خشيت التأخر، اسرعت الى غرفة الاستقبال لتفتش عن مضيفها، الذي سرعان ما توجه اليها ماداً يديه مرحباً :

ـ انت تبدين في غاية الجمال. .

فتجنبته قائلة :

ـ أريد التحدث اليك سيد بروميللي.

ـ يجب ان تناديني راو.

ـ لأمر طارىء يا راو. . أريد المغادرة.

ـ تغادرين ماذا؟

ـ المركب. . يجب ان اعود الى بلدي.

ـ ثمة خطب ما؟

ـ هذه الرحلة. . . انا لست. . . انا لم ادرك. .

رفعت ذقنها بعناد، فوقع على شعرها شعاع من اشعة الشمس الغاربة حيث شعّ كطوق ذهبي حول وجهها البيضاوي.

ـ اريدك ان تنزلني غداً في الميناء التالي.

ـ لن نزور ميناء غداً، بل لن نقترب من أي ميناء قبل ثلاثة او اربعة أيام بل ربما أكثر.

ـ أوَ لن تحتاجوا الى الطعام؟
ـ لدينا الكثير منه.
ـ لكنني أصر على النزول.
ـ لست في وضع يمكنك من الاصرار. فلست انوي تغيير خططي كي تناسب نزواتك.
ـ انها ليست نزوة. . لا اريد الاستمرار في هذه الرحلة.
ـ وما خطب هذه الرحلة؟
ـ لا شيء، لكنني فتاة عاملة عادية وأنا. . . أنا. . أرجوك دعني أذهب.

فجأة غادر الغضب وجه راو ليظهر بعض الكرم :

ـ ابقي هنا الى ان نصل الى الميناء القادم، وان لم تغيري رأيك تستطيعين الذهاب.

أحست بانه لن يتزحزح عن عرضه هذا، لذا لم يكن أمامها خيار سوى الموافقة مع انها تخاف البقاء معهم مدة أطول.

أدارت وجهها لتخفي دموعها، وعندما جلا نظرها، شاهدت كارلو بريوري واقفاً عند الباب، يبدو خطيراً كراو هذا. لكنه على الاقل انكليزي، فتساءلت هل سيصدقها ان اخبرته الحقيقة؟ لكن موقفه الساخر سابقاً ملأ قلبها ذعراً. وسمعت راو يقول له :

ـ تعال لتساعد افريل على اراحة اعصابها. انها متوترة من وجودها في البحر مع عازبين.

ونظر كارلوس اليها.

ـ أتريدين شراباً ما؟
ـ أفضل عصيراً بارداً.
ـ جربي شيئاً آخر.
ـ اعتقد ان عصير الفاكهة يكفيني.

عاد بعد قليل يحمل العصير البارد فقدمه لها، وعندما ارتشفت بعض العصير لاحظت نظرات الرجلين الفاحصة، لذا اظهرت هدوءاً ما كانت تشعر به اطلاقاً.

كان كارلوس بريوري يمعن في تأملها وكأنه يحاول الكشف عما وراء هذا الثوب الأسود الرقيق. وكم شعرت بالاطمئنان عندما دخل امادو وماريا، تتبعهما كاترين التي استقبلها راو استقبالاً حاراً محيطاً خصرها عندما جلست على حافة مقعده. لم تعفها عينا الفتاة القاسيتين من نظرة قاسية أشاحتهما عنها سريعاً.

أحست افريل برغبة قوية في رمي محتويات كأسها في وجه كاترين المبتسم. لكن المنطق السليم جعلها تضع اللوم على نفسها التي أوقعتها في هذه الورطة، فلو كانت تملك ذرة من عقل لاستمعت الى باتريسيا التي حاولت ان تنذرها. لكن اوان التفكير بما كان قد فات، وعليها الآن مواجهة هذا الوضع للخروج منه في أقرب فرصة.

٣ ـ لؤلؤة من جليد

قدم طعام العشاء الفاخر في غرفة أنيقة تابعة للصالون الرئيسي. وبعد ان قدمت الحلوى شعرت افريل ببعض الراحة.

كان راو قد جلس في مواجهة كاترين عند طرف الطاولة، بينما جلس امادو وكارلوس في مواجهتها ومواجهة ماريا. وكانت كلما رفعت نظرها عن طبقها ترى عيني كارلوس الرماديتين تراقبانها. العينان اللتان بدتا دون النظارة رماديتين لا سوداوين كما اعتقدت في البدء، يضيق فيهما البؤبؤان بحسب مزاج صاحبهما.

عندما انتهت وجبة الطعام خرجت افريل الى السطح حيث كان الهواء بارداً قليلاً مما جعلها ترتعش. وتوجهت نحو قارب النجاة لتلتجيء اليه، فراحت تتأمل الزبد الأبيض المنتشر من جراء محركات اليخت. فجأة شمّت رائحة سيكار تشير الى ان رجلاً ما يقبل نحوها، ولم تحتج الى الالتفات لتعلم انه كارلوس، فحدسها أنبأها بوصوله، ولعل كراهيتها له تجعلها تشعر بوجوده، تفهم تعبيرات وجهه وتعي ما يخبئه عقله المريض من أفكار.

وقال وكأنه يعرف ما تفكر به :

ـ لقد علقت معنا يا افريل.

ـ اعتقد ان راو أخبرك عن نيتي في المغادرة؟

ـ اجل. . ان التظاهر بالتمنع خدعة موفقة قد تثير الشهية أكثر من القبول.

ـ لا اعتقد ان أمثالك بحاجة الى الاثارة.

ـ انك مخطئة تماماً لأن شهيتي لا تثيرها الأشياء الواضحة،

وحاسة الاصطياد لديّ ما زالت قوية، ان ما هو صعب المنال يثيرني أما التحفظ الزائف فيضجرني.

أحست بغضب عاصف يجتاح كيانها جعل صوتها يهتز :

ـ يا لك من رجل كريه ! كيف أقنعك بانني أعني ما أقول. لأن آخر ما قد افكر به هو التظاهر بالبراءة في سبيل إثارة رغبتك. ليتك تعلم كم أنا. .

هنا ارتجفت كلماتها فلم تستطع تتمة قولها لذا استدارت مبتعدة عنه، وهي تحدق الى البحر لئلا تنهار أعصابها.

ـ أنت صديقة كاترين. . هل تعملين معها؟

ـ أنا أعمل عند المصورة باتريسيا بالمر، موظفة استقبال وسكرتيرة لا نموذجاً كما تعتقدون جميعاً.

ـ واعتقد ان كاترين ليست صديقتك؟

رغم سخريته الواضحة قررت ان تجيب عن سؤاله :

ـ لا. . هي ليست صديقتي. كانت علاقتنا حتى مطلع هذا الاسبوع تقتصر على تبادل التحيات. وبما ان رفيقة رحلتها قد خذلتها في اللحظة الأخيرة طلبت مني ان أرافقها لئلا تحرم من القيام بهذه الرحلة، لقد ادعت انها تريد مرافقة لها اثناء وجودها مع السيد بروميللي.

ضحك كارلوس بريوري ضحكة خفيفة :

ـ قد يحب راو وجود فتاة أخرى. . على ألا تكون مرافقة.

أجفلتها تلك الكلمات. وعندما لاحظ انتفاضتها تأملها ملياً ثم قال :

ـ أنت ممثلة بارعة.

منعها الارتباك الذي تشعر به من مجادلته لذا هزّت رأسها، فتابع كلامه :

ـ أتتوقعين حقاً ان اصدق انك عندما قبلت هذه الرحلة كنت تجهلين ما ينتظرك فيها؟

ـ اخبرتك الحقيقة، ومع ذلك ما زلت تحسبني كاذبة.

ـ أنا لا أصدق ان احداً يمكن ان يكون بهذه السذاجة ! خاصة فتاة جميلة مثلك.

أمسك كتفيها بأصابعه الفولاذية ليديرها نحوه :

ـ لم أشاهد بشرة كهذه يوماً فحتى الفتيات السويديات لسن شقراوات مثلك. كما ان اللاتي يملكن هذه البشرة البيضاء يبدين نحيلات ! ولكنك مثل. . مثل. .

ـ مثل اللؤلؤ.

ـ يبدو ان احدهم قد وصفك على هذا النحو، انا اصدق رغبتك في ترك اليخت لا لأنني اؤمن بما قلت انما لأنك باردة كالثلج. اعتقد انك كنت تريدين قضاء ثلاثة أسابيع على متن يخت مليونير لكنك لم تضعي في حسابك الثمن الذي ستدفعينه في هذه الرحلة. في هذه اللحظات أشعر باحترام نحو صديقتك التي تعتبر أكثر وضوحاً وصدقاً في صفقاتها.

ـ انا لم اعقد صفقة. لم لا تريد ان تفهمني؟

تريثت قليلاً ثم تابعت قولها : لا احسبك قادراً على فهمي لذا دعني وشأني.

ـ ألا تريديني ان أدق باب غرفتك؟

ـ لن تجرؤ. . واذا فعلت فسأقتلك !

حدق اليها للحظة، ثم انفجر ضاحكاً :

ـ اراهن انك ستفعلين ذلك ! يا لك من فتاة باردة كالجليد، ولعل هذه البرودة هي سبب مشكلتك لكنني اجد الامر مثيراً للاهتمام.

ـ انا لست فتاة باردة او فتاة تحب قضاء أوقات طيبة. انت تهينني بحرية مطلقة علماً انك لست في وضع يخولك ذلك؟ فهل تعتقد ان من الرجولة ان يشتري الآخرون لك النساء؟ ألا تستطيع ايجاد الحب دون ان تدفع ثمنه؟

تراجعت قليلاً خائفة من ردة فعله بعد ان تصلبت تقاسيم وجهه لكنه بقي مكانه، وكأنه قُدَّ من صخر، يفكر بكلماتها :

ـ لقد اتهمتني اتهاماً خطيراً يا افريل، لكنه ليس صحيحاً أبداً.

قالت ساخرة :

ـ بالطبع لا. .

ـ انت تضعينني في موقف الدفاع. . يا لك من فتاة ذكية.

ـ انا لا أحاول التذاكي، انما اقول رأيي بصدد تصرفاتك.

ـ أتعلمين لقد جعلتني أصدق انني اخطأت في شأنك. على كل لدي أسباب خاصة دفعتني الى القيام بهذه الرحلة.

ـ أنا متأكدة ان لك أسباباً !

ـ ليست الاسباب التي تفكرين بها، فهذا الوجه بالذات كاد يدفعني الى رفض دعوة راو.

ـ كاد؟ ؟

ـ إن أهمية اشتراكي في هذه الرحلة كانت أقوى من كرهي لما ستحتويه ؛ ها قد بدأت أشعر بما يعتمل داخلك فرغبتي في جعلك تصدقينني توازي رغبتك على ما اعتقد.

لم يكن أمامها شيء تقوله، لذا صمتت منتظرة. تابع بعد ذلك قوله :

ـ قررت شركة راو بناء عدة ناقلات نفط عملاقة، وانا أنوي الحصول على هذا العقد.

ـ ألهذا تظاهرت بقبول هذا النوع من ضيافة راو.

ـ أجل.. إنه رجل غريب و...

وبدا التردد في صوت كارلوس، وكأنما يجد صعوبة في الكلام عن مضيفه، ثم تابع :

ـ راو رجل عصامي، لديه كسائر العصاميين عقدة نقص. فهو ما كان يحصل على النساء قبل ثرائه ؛ ولو امتنعت عن القيام برحلته هذه لحسبني احتقر ما يقوم به وهذا بالطبع كان سيؤدي الى خسارة صداقته.

ـ أتحتاج الى صداقته للحصول على عقد العمل؟

تحت ضوء القمر استطاعت ان ترى الابتسامة الساخرة التي علت فم كارلوس بريوري، وهو يجيب :

ـ أنت طفلة حقاً.

ـ من هم منافسوك؟

ـ حوالي عشرة من شركات بناء السفن. إضافة الى اليابانيين الذين يلاحقونني بقوة، لكنه يفضلني عليهم جميعاً.

ـ ألأنك صديقه؟

ـ هو يظن ذلك.

ـ أولست كذلك؟

ـ هل تصدقينني اذا قلت لك لا. ؟

ـ وهل تصدقني انت؟

رمى سيجاره في البحر، ثم مال الى الأمام ليستند الى الحاجز. فكانت هذه الحركة سبباً في اقترابه منها حيث وازت كتفاه العريضتان مستوى عينيها. قال وكأنه يحدث نفسه :

ـ أنا لا احتاج الى شراء امرأة. عندما اتيت الى هذه الرحلة كنت اتوقع مشكلة ما. لذا رسمت خطة تقضي بأن يعتقدني راو مسرور بضيافته، دون ان ادعه يعرف ان الأمر تمثيل.

تملكها الفضول لذا سارعت الى السؤال :

ـ وماذا ستفعل؟

ـ ما كنت سأفعله سابقاً، ما رأيك لو رتبنا الأمر بيننا على نحو يناسبنا معاً بذلك تكسبين هذه الرحلة التي تحلمين بها بعيداً عن الارتباطات التي تخشينها.

ـ كيف ذلك.

ـ الأمر بسيط، سندّعي أننا اصدقاء، جاعلين بذلك راو سعيداً عندها أبقى بالوضع الذي أريده.

ـ وان لم أقبل اقتراحك؟

ـ ستواجهين ثلاثة أو أربعة أيام غير مريحة على متن اليخت، بل قد تكون الفترة أطول لأنني أظن ان راو سيمنعك من النزول عند أي ميناء.

ـ إن سجنني أقاضيه.

ـ أنت بذلك ستعرضين سمعتك الى الشبهة. فان كنت حقاً تلك الفتاة العفيفة فستجدين الوضع محرجاً.

فكرت بكلامه المنطقي الذي وجدت فيه كثير من الصحة. فقد يفكر راو في ابقائها رغم انفها على اليخت رغبة في إسعاد صديقه. وعندها ستتحمل مضايقات كبيرة قد تصل الى حد المغازلة من قبل أصدقاء قد يلتقطهم راو من هنا وهناك في أماكن متعددة. ولكن ما سيكون موقفها لو قبلت اقتراح كارلوس بريوري؟ وحدقت اليه فوجدته ينظر الى الافق. عندها تذكرت رؤيتها إياه صباحاً، عندما كانت النظارة تخفي تعابير وجهه. وعلمت أنها تصدق روايته رغم نفورها منه. فقالت بحذر :

ـ أحب ان أتريث قليلاً لأرى النتيجة. فإن استطعت النزول في الميناء التالي، فلن يكون هناك مشكلة، ولكن ان لم يسمح لي

www.elromancia.com

بالذهاب، فعندها. . سأفعل ما تقول.

ـ لا تقلقي أو تخافي مني لأنني لن استغل الوضع، فلست من الذين تشترى لهم النساء. ولكن اذا قررت البقاء، فعلينا ان نخفي كرهنا لأن راو ليس غبياً، ولا أريده ان يشك بالأمر.

ـ لنتريث بانتظار النتيجة.

تحركت مبتعدة عن قارب النجاة فشعرت بالهواء البارد يلفح بشرتها. وتابعت :

ـ انا ذاهبة الى النوم سيد بريوري.

ـ أرجوك، ناديني كارلوس. لقد ناديتك افريل. . . إنه اسم غير مألوف. أهو اسمك الحقيقي؟

ـ إنه كشعري تماماً.

قالت تلك الكلمات ثم استدارت مبتعدة عنه.

في الصباح التالي أيقظها من النوم تغير في صوت المحرك، فقفزت من السرير ونظرت من الكوة، فإذا بالمرساة قد ألقيت واليخت واقف وسط البحر الازرق العميق، وكأنه طائر البطريق الضخم. كانت الساعة السابعة تقريباً، وارتدت المايوه واضعة رداء خفيفاً فوقه ثم خرجت تبحث عن الفطور، لكنها لم تجد أحداً غير طاقم اليخت. ووجدت شاباً صغيراً يلمّع نحاس الحاجز فسألته :

ـ أين أجد الفطور؟

فتمتم بالايطالية، مشيراً الى الساقي الذي يرتب المراتب فوق الكراسي، فسارت افريل نحوه مكرّرة سؤالها فأجابها بانكليزية ممتازة :

ـ السيد بروميللي واصدقاؤه يتناولون الفطور عادة في غرفهم.

ـ آسفة، لم اقصد ازعاجك.

ـ ليس هناك ازعاج يا آنسة، من الافضل إحضار صينية الطعام

الى هنا، فمن المؤسف عدم الاستفادة من الشمس. سأحضر لك طاولة.

ـ هذا رائع. . . لماذا توقفنا؟

ـ انها أوامر السيد بروميللي. . ضيوفه يحبون السباحة في البحر، وهذا غير ممكن أثناء مسيرنا. سنبقى هنا طوال النهار كله ثم نتحرك عند المغيب.

ـ هذا رائع ايضاً.

جلست على أحد المقاعد. بانتظار الفطور. . .

ـ ظننتك نائمة. .

كانت تعلم ان كارلوس يقف فوقها دون ان ترفع بصرها اليه. كان شعره رطباً من جراء الاستحمام. أدارت عينيها ببطء عنه. . ثم قالت :

ـ انا معتادة على الاستيقاظ باكراً سيد بريوري.

ـ هل تجدين صعوبة في نطق اسمي الأول؟

ـ اذا كان اسم كارلوس صعب، نادني كارلو.

ـ اسم كارلوس يليق بك أكثر.

ـ هل انت واثقة من انك لا تعتبرينني «العجوز» أو الشيطان «كارلو».

ضحك، ثم جلس على المقعد الى جوارها، ووضع نظارته على عينيه. كان الصمت يلفهما الى ان وصل الساقي حاملاً طعام الفطور ليضعه على الطاولة. كانت تتمنى لو يتركها وحدها لتناول الطعام بهدوء، وبما انه لا سبيل الى ذلك راحت ترتشف عصير الاناناس. وبعد ذلك صبت فنجان قهوة ويداها ترتعشان.

ـ لا تأبهي لوجودي. لو علمت أنك ستتناولين طعام الفطور لما انضممت إليك.

www.elromancia.com

ـ هل تناولت فطورك؟
ـ أجل. . وقد سبحت أيضاً.
ـ يجب أن أسبح أيضاً.
ـ هل أنت سباحة ماهرة؟
كان الوقت باكراً لكنه دافىء، يتخلله نسيم عليل تلاعب بردائها ورفع شعرها عن جبينها، كم تاقت ان تخلع رداءها لتستلقي تحت أشعة الشمس بالمايوه، لكنها كرهت ذلك بسبب هذا الرجل الجالس قربها. من السخف ان تترك نفسها تحرج في وجوده لذا وقفت لتخلع رداءها ثم عادت الى الجلوس. فقال لها :
ـ الأفضل ان تضعي بعض زيت الشمس، لتمنعي تسرب الأشعة القوية الى بشرتك، فبشرة كبشرتك قد تحترق خلال نصف ساعة .
ـ ظننتك نائماً. . .
ـ استيقظت عندما خلعت رداءك.
ـ في المرة القادمة سأصدر أصواتاً أعلى.
ـ أشك في ان يصدر هذا الرداء أصواتاً عالية.
ـ سأتمدد بعيداً عنك اذا كنت راغباً في البقاء وحدك.
ـ انت لا تزعجينني.
وقف ثم سار فوق سطح المركب.. ثم عاد يحمل زجاجة زيت. قال لها بلهجة آمرة :
ـ ادهني جسمك بهذا السائل لئلا يحترق.
شكرته بأدب متّبعة نصيحته. أما هو فراح يراقبها باهتمام جعلها تنتبه الى صغر المايوه الذي ترتديه. قال لها معلقاً :
ـ جسدك جميل.
ـ أشكرك على الزيت.

قالت تلك الكلمات وهي تضع الزجاجة أمامه. فقال :
ـ فلتبق معك لأنك ستحتاجينها كل بضع ساعات، أما أنا فسأشتري واحدة أخرى عندما نصل الميناء
ذكّرتها كلماته بوضعها، فعاد اليها التوتر، الذي تضاعف عندما اقترب راو وكاترين اللذان استلقيا قربها فالتفت راو نحو افريل ملوحاً سائلاً :
ـ هل نمت جيداً؟ آمل ان تكوني غيرت رأيك بشأن مغادرة اليخت؟
ـ أكنت تتوقع ذلك؟
ـ كنت آمل ان يخف توترك لأن كل شيء كان غريباً بالنسبة اليك وهذا ما أخافك. أما اليوم فالشمس مشرقة والجميع سعداء. ويجب ان تكوني سعيدة أيضاً. أحب ان يكون أصدقائي سعداء.
ولم يلبث ان رفع رأسه لينظر الى أمادو فالميرو المقبل نحوهم. فسأله وهو يجذب أمادو ليجلسه قرب افريل :
ـ هل تشاجرت ثانية مع ماريا؟ لا أفهم سبب اهتمامك بهذه الفتاة؟
توقف قليلاً ثم تابع :
ـ قد يفيدك التغيير. . متع نظرك بشقراء بدل جميلتك السمراء.
حدق أمادو الى افريل، تلاشى كل توتره، تنهد وهو يستلقي فوق الكرسي، رجلاه متباعدان ويداه الى جنبيه :
ـ أنت محق يا راو، ما عدت قادراً في هذه السن على تحمل نزوات ماريا. وأنت يا افريل من أي نوع من النساء.
ـ أنا ممن يخربش ويعض.
أسعدته الملاحظة، فصفعها مداعباً صفعة تركت أثرها على جلدها الأبيض. وقال :

www.elromancia.com

ـ ان لم تسبحي الى الآن فسنسبح معاً.
ـ لا. .
ـ لا يجب ان تخافي. . سأكون معك.
ـ لست خائفة.
ـ إذاً سنسبح معاً عندما أهضم طعامي.
تجشأ بقوة ليظهر ان الطعام على وشك الهضم. وحاولت ابعاد كرسيها عنه. لكنه لم يتحرك من مكانه لثقله بل أحدث صوتاً جعل كارلوس ينظر اليها ليقول همساً :
ـ أرأيت ما اعني. . راو مصمم على ابقائك. وأؤكد لك أنني أقل خطراً منهما.
تجاهلته افريل، ونظرت باتجاه راو سائلة :
ـ متى سنصل الى الميناء؟
ـ من يدري ! فانا أحب الحرية وسط البحر، فقد نصل بعد أربعة أيام أو أكثر.
عادت الى الاستلقاء، وهي تشعر بمراقبة كارلوس الذي سألها :
ـ حسناً؟
ـ يبدو انني مجبرة على قبول عرضك.
ـ اذاً حاولي التصرف بلباقة لإنني سأنقذك من وضع صعب.
ـ من المفروض ان اساعدك أيضاً.
ـ لكن مشكلتك أكبر من مشكلتي، فانا على الأقل لا أعتبر مخالفة مبادئي معك تضحية كبيرة.
التقطت أنفاسها ثم أجابت :
ـ سنتبع الشروط التي ذكرناها أمس. فسأقبل تمثيل هذا الدور لكن ان حاولت. . أنت تفهم قصدي.
ـ هذا واضح بالنسبة الي. لن يتعدى الأمر التمثيل، فلنبدأ الآن

اذاً.
جلس في كرسيه، ليضع ذراعه على كتفها. فشعرت بالحرارة تتصاعد الى وجنتيها من الحرج. وتمتم في أذنها :
ـ أنت تجيدين التمثيل. جاء دورك الآن، فلتكن حركتك مقنعة كحركتي تماماً.
قالت هامسة :
ـ أكرهك !
ـ ربما، ولكنك ستجدينني أسهل انقياداً من أمادو.
كانت كلماته في محلها، فالتمثيل الذي اقترحه كارلوس سيكون خيراً لها خلال الأيام المقبلة.

www.elromancia.com

٤ ـ ملاكها الحارس

كانت حياة الاسترخاء ممتعة حتى كادت افريل تنسى ان هناك عالماً آخر خارج هذا العالم الصغير المترف. كانوا ستة أشخاص يطوفون على غير هدى فوق البحر الياقوتي الازرق، معلقين خارج الواقع، مستكينين الى الراحة بعيداً عن متطلبات الحياة الطبيعية.

عندما تستيقظ صباحاً تجد الفاكهة الطازجة قرب سريرها بينما طبق الخوخ والعنب الذي لم يخلو من الغرفة ليلاً كان يساعدها على التخلص من قرصات الجوع في ذاك الوقت. ولولا وجود راو واصدقائه لعاشت في سعادة فائقة ولكن، لولا راو لما كانت هناك. وغالباً ما راحت تفكر في سبب هذا التكدر الذي يعتمل داخلها، أيكون السبب راو وضحكاته المدوية وعينيه القاسيتين ام امادو المتحذلق الذي يتحين الفرص لملامستها، أم ماريا وكاترين بوجهيهما الأبلهين وأصابعهما الجشعة؟

أما كارلوس بريوري فقد برزت صورته أمام ناظريها كالسّراب، طويل أسمر يسعى الى تحقيق هدفه وان كان الخداع سبيلاً اليه. بعد فترة وجيزة تركا حذرهما فتصرفا بطبيعية وراحة. لكن كارلوس كان يتذرع بهذا الواقع ليصل الى ما يريد. . فتساءلت عما سيحدث بعد ان يحصل على العقد الذي يريده؟ هل سيستمر في تمثيليته هذه أم سيظهر حقيقة شعوره تجاه الاعمال التي يقوم بها راو في هذه الرحلات أم انه سيحافظ على تظاهره ليكسب صفقات اخرى. لكن ما فائدة تفكيرها هذا وهي ستكون قد ابتعدت عنه في ذلك الوقت.

كانت التمثيلية التي شرعا يمثلانها، سبباً في توطيد علاقتهما التي تعددت المظاهر الكاذبة أمام الآخرين والتحفظ البارد عند انفرادهما الى محادثة متعثرة فمناقشة أكثر نشاطاً حدتها الى معرفة أمور كثيرة عن حياته وعمله.

في اليوم الرابع سارا على السطح فإذا به يعلّق على مظهرها مبتسماً :

ـ انت الآن كرغيف محمص.

ـ ذاك الزيت الذي اعطيتنيه كان كالسحر.

استلقيا تحت أشعة الشمس، هي مسترخية فرحة وهو متكىء على ذراعه ناظراً اليها نظرة جعلتها تقاوم رغبة في اخفاء جسدها بمنشفة كبيرة، لكنه لم يتركها بل لمست أصابعه ذراعها بنعومة قائلاً :

ـ انا سعيد. لأنك لم تكسبي وزناً إضافياً مما تأكلينه وتشربينه هنا.

ـ أتقول ذلك وانت الأكول الذي يتناول ما يحتاجه ثلاثة رجال.

ـ علىّ ان اعطي اهتمامي الى شيء ما. وبما انك تمنعين عني نفسك لم أجد سبيلاً آخر غير الطعام.

ذكّرتها الكلمات بما يقومان به من خداع، لذا تلاشت ثقتها به وعندما لاحظ نظرتها المشككة قال لها :

ـ سامحيني يا افريل. . كنت امازحك ليس إلا.

ـ أعلم هذا. . ولكننا اتفقنا و. .

ـ اعدك ان لا اخالف الاتفاق، لأنني فعلاً أسعى جهدي الى نسيان طريقة تعارفنا، فأنا أشعر بانني أعرفك منذ سنوات.

حاولت تجاهل السعادة التي سببتها كلماته لها. وأبقت صوتها هادئاً وهي تجيبه :

ـ لست اعرف سبب شعورك هذا. . ونحن من عالمين مختلفين.

ـ لا تكوني متخلفة !

ـ إنما أقول الحقيقة فكل منا من بيئة مختلفة.

ـ لا علاقة لخصائص الانسان بالبيئة.

ـ يكتسب الانسان أربعين بالمئة من خصائصه بالوراثة بينما الستين الباقية يرثها من البيئة والتربية.

ـ إن كان للبيئة هذه الأهمية، فلِمَ لم تغيرك هذه الرحلة؟

فابتسمت مجيبة :

ـ بضعة أيام في بيئة أخرى لن تغير عادات اكتسبها المرء خلال حياته.

ـ أخبريني أكثر عن عاداتك، فانا لا اعرف الكثير عن حياتك خارج هذا الوجود المترف.

ـ ليس هناك الكثير لأخبرك عنه.

ـ لماذا عملت في استديو تصوير، لا في مكتب، على سبيل المثال بل لماذا لم تجعلي نفسك نموذجاً وانت على هذا القدر من الجمال.

ـ انا لم اهتم كثيراً بمظهري الى ان بدأت العمل مع باتريسيا، ولكنني أكره ان اكسب عيشي عن طريق عرض جسمي كما ان عالم العارضات عالم ضيق، يحكم الناس عليه من خلال المظاهر، كدت احبه لو لم اجده عالماً مزيفاً حقيراً.

ـ ولماذا بقيت فيه؟

ـ لأنني أحب ربة عملي. إنها مصورة رائعة.

ـ تهدر موهبتها في عمل تحتقرينه !

ـ ومن اين تكسب رزقها؟ أو كيف تحقق هدفها في ان تصبح

صحفية مصورة؟ فبما ان الرجال يستولون على المهمات الصحفية الجيدة تاركين الفتات للنساء. فقد سعت باتريسيا الى تأسيس استديو لتؤمن مبلغاً من المال يخولها السفر الى كل الأماكن لتصوير ما يعجبها.

ـ وما الذي منعها. . الم تنجح كفاية؟

ـ نجحت كثيراً، لكن الالتزامات الكثيرة منعتها من تحقيق هدفها.

ـ أفهم ما شعرت به لأنني أردت يوماً ان اصبح كاتباً لكن وفاة والدي واعماله المضطربة اضطرتني الى اصلاح أمورها.

ـ الم يكن قديراً؟

ـ كان من اتباع المدرسة القديمة. يعتقد ان كل ما عليه القيام به هو تسليم السفن الجيدة، وانتظار وصول طلبات اخرى. لكن زمننا غير زمنهم اذ على رجل الاعمال الخروج الى الدنيا لينال ما يريده بالمضاربة وتخفيض الاسعار، وان لم يحقق ما يصبو اليه بهذه الطريقة يسعى اليه بطرق اخرى.

ـ أي يقوم بما تقوم به من تظاهر وادعاء.

كانت تتوق لتعرف ماذا يخبىء وراء نظارته السوداء. قال اخيراً بعد صمت طويل :

ـ أجل. . كما افعل الآن، ورغم كرهي لما اقوم به، لكنني مصمم على دفع الشركة الى الامام ثانية.

ـ وبعد ذلك؟ هل ستعود الى الكتابة؟

انفجر ضاحكاً :

ـ الانسان لا يستطيع العودة الى الوراء. والكتابة كانت حلم شاب يطمح الى اظهار بشاعة العالم.

ـ ليس العالم كله بشعاً. إذ قد يكون أحياناً جميلاً.

ـ انت بريئة جداً. .

ـ هل تعني ما تقول؟

ـ أجل يا افريل. . أعنيه. انت لا زلت تعيشين في عالم وردي.

– لكنني أحاول ان ارى الجانب الجميل من كل شيء.

فأجابها بخشونة :

ـ اذاً، قولي ما هو الجانب الجميل في اصدقائنا هؤلاء.

فقالت وهي تحاول بحذر ان تستجمع افكارها :

ـ إنهم ليسوا سيئين حقاً. فراو وامادو بائسين بطريقة ما. إنهما يملكان مالاً كثيراً لا يعرفان كيف ينفقانه، تراهما يكرران الاعمال نفسها الى أن يضجرا.

فقال لها كارلوس بصوت جاف :

ـ تصفين الامور بشكل دقيق. . . هيا تابعي. . لقد أثرت اهتمامي.

تأملته وهي تفكر : أيحاول سبر أغوارها أم هو فعلاً عنى ما قال عندما وصفها بالبريئة؟ ولكن هل يصدق أنها شاركت في هذه الرحلة ببراءة؟ وقطع عليها حبل أفكارها عندما قال :

ـ هيا. . تابعي، اخبريني كيف تنظرين الى كاترين وماريا.

ـ أشفق عليهما ضعف شفقتي على راو وأمادو لأنني أرى نوع الحياة التي ستواجهانها عندما تحل مكانهما فتاتان أكثر جمالاً وأصغر عمراً.

ـ أرجح ان تتزوج ماريا من امادو، اما كاترين فتكون حتى ذاك الوقت قد جمعت من المال ما يكفيها للاستقرار والزواج.

ـ هل تعتقد حقاً ان امادو سيتزوج ماريا رغم فظاظته معها؟

ـ كل الفظاظة التي تتحدثين عنها لم تمنعه من الرغبة فيها، وهو يكره نفسه لأجل ذلك.

ـ إذاً لا استطيع ان ارى أية سعادة في افق حياتهما.

ـ قد لا تكون هذه فكرتك عن الزواج، وبالتأكيد ليست فكرتي، ولكن امادو وماريا سيكتفيان بمثل هذه الحياة.

تنهدت افريل قائلة :

ـ يا لهما من شخصين غريبين !

ـ غرابتهما هي التي تجعلهما مثار اهتمام.

ثم اردف بعد ان استدار كارلوس ليستلقي على وجهه، فكانت حركته سبباً في ان يلامس كتفه كتف افريل، حيث لم يعد بين وجهيهما سوى القليل :

ـ اخبريني عن والديك؟

ـ والدي كان قسيساً في قرية ريفية أما والدتي فكانت تساعده في كل شيء. لم يكن لديهما الكثير من المال، رغم ذلك عاشا بحبور وسعادة، كانا يختلفان غالباً في الأمور الثانوية أما الأمور الرئيسية فما اختلفا عليها يوماً.

ـ ماذا تعنين بالأشياء الثانوية؟

علت فم افريل ابتسامة الذكرى :

ـ كانت أمي تعشق الموسيقى بينما أبي لا يهتم بها ابداً. وكان هو يعرف الكثير عن الزهور وما يتعلق بالزراعة، بينما هي لا تخرج الى الحديقة إلا لجمع اللوبياء، في وقت غير مناسب، كما كان يقول ابي دائماً.

ـ وما الأشياء المشتركة التي جمعت بينهما؟

ـ الإيمان. . الإيمان بطيبة الإنسان.

ـ وهذا امر ورثته عنهما كما هو واضح.

ـ أنا لست جاهلة كما تعتقد.

ـ منذ يومين كنت تحاولين جهدك لاقناعي بانك أكثر الفتيات

جهلاً في العالم.

استدارت لتنظر اليه بغضب، فاقترب وجهاهما أكثر فأكثر بحركتها هذه. حبست انفاسها وهي تحدق بعينين قلقتين الى عينيه السوداوين. . محاولة ولوج أعماق تفكيره.

قال وهو يتراجع عنها قليلاً :

ـ اخبريني المزيد عن والديك.

ـ ليس هناك الكثير. توفي والدي من جراء التهاب الرئتين، أما والدتي فتوفيت بعد ستة أسابيع حزناً عليه، اثر نوبة قلبية. اظنك قد تجد موتها على هذا النحو أمراً لا يصدق.

ـ ولمَ أجده لا يصدق؟

ـ لأنك تبدو كثير السخرية بالحياة.

ـ أبدو كذلك فقط؟ كنت اتوقع ان تكوني واثقة.

ـ وهل يمكن للانسان ان يكون واثقاً من شيء أبداً؟

ـ أنا واثق منك. . .

وقبل ان تعرف ماذا سيفعل طبع قبلة على جبينها. . . وبقيت دون حراك، خائفة من ان تتحرك حتى لا يلاحظ السرور الغريب الذي كان يسري في جسدها من جراء لمسته هذه. . . وقال بصوت أجش :

ـ افريل. . .

ثم خلع بإحدى يديه نظارته وبالاخرى جذبها نحوه. فأحاطتها ذراعان قويتان برقة متناهية تلامسان جسدها بنعومة. لكن عضلات جسمها تقلصت وهي تحس بالرجفة. فما كان منه إلا ان أمسكها بقوة أكثر.

ـ جميلة في السابعة عشرة لم يعانقها أحد الى الآن.

ـ أنا في الثالثة والعشرين، عانقني عدة أشخاص.

ـ أعانقك فلاحون جاهلون. . . أم أنك ممثلة بارعة جداً؟

ملأت دموع الغضب عينيها، فقالت :

ـ لِمَ عانقتني إن كنت لا أعجبك؟

ـ لكنك تعجبيني. . كثيراً، كل ما تحتاجينه بعض التمرين.

ومد يده ثانية، لكنها كانت اسرع منه، اذ تدحرجت مبتعدة عنه لتقف بسرعة، أما هو فبقي ينظر اليها محدقاً.

ـ عودي الى هنا كفتاة عاقلة.

ـ سأعود لو تذكرت انني فتاة عاقلة.

فضحك قائلاً :

ـ لقد كسبت نقطة. عودي الآن الى هنا.

عادت بحذر، لكنها اجفلت عندما استدار اليها متأملاً، كانت نظرة طويلة محكمة جعلتها تشعر بأنها فراشة حُنطت على جدار. وقالت له باحتجاج :

ـ أيجب ان تنظر اليّ بهذه الطريقة؟

ثم انفجرت قائلة :

ـ آه ! لو استطيع مغادرة هذا المركب الكريه.

خنقتها الدموع فلم تستطع متابعة قولها. فقال على الفور :

ـ أنا آسف. . كنت أداعبك فقط. أرجوك لا تبكي.

أغمضت عينيها محاولة السيطرة على نفسها. من الغباء ان تبكي. اذ عليها ان تكون أكثر حذاقة لتتابع هذه التمثيلية بشكل ملائم. انها مجرد ادعاء وهذا يعني أنها لا تمثل شيئاً لهذا الرجل الواثق من نفسه. همست بصعوبة :

ـ أجد صعوبة في التظاهر. . هذا يجعلني متوترة الأعصاب.

ـ لا داعي الى هذا التوتر. فانا ما عانقتك الا لأنك جميلة خلابة. اطمئني لن أتجاوز حدودي.

www.elromancia.com

مضى ذلك اليوم بالطريقة المتكاسلة التي مر بها سواه. وفي المساء ارتدت الثوب الأسود الذي ارتدته سابقاً لحضور العشاء، غير مدركة أنه يضفي عليها جمالاً فوق جمالها. وعندما دخلت الى غرفة الاستقبال سادت برهة من الصمت، جعلتها تتمنى الهرب لكنها قاومت رغبتها تلك. قال راو وهو يتقدم منها والابتسامة تضيء وجهه :

ـ أنت تبدين كآلهة الجمال. لكنني اتمنى ان لا تستمري بالتصرف كآلهة؟

تدخل كارلوس قائلاً :

ـ هذه ملاحظة يجب ان أوجهها بنفسي اليها. أنسيت أنها فتاتي؟

هز راو كتفيه :

ـ لن نختلف بشأن العشاء لان هناك ما هو أهم لنتجادل حوله.

احمرت وجنتا افريل، أما كارلوس فقد هز رأسه لكنها لاحظت بعض التوتر حول فمه عندما استدار ليقودها نحو الطاولة. ولم يلبث ان قدّم لها كأساً من عصير الفاكهة الباردة احتسته بشكل آلي بينما تمتم قائلاً :

ـ لا تهتمي براو. . إنه سكران.

كان راو يميل الى السكر عندما يتشاجر مع كاترين :

ـ أرجو ان تكون هذه الأمسية كالأمسيات السابقة. (قالت هامسة)

ـ ان لم تكن كما نريدها فسنختلق عذراً لنذهب ولا اعتقد ان أحداً قد يجد الأمر غريباً.

ـ أنت تبدين فاتنة الجمال الليلة. . ماذا فعلت بنفسك؟

ـ ارتديت فستاناً أسود قديم.

كان العشاء مزعجاً كما توقع كارلوس إذ تجاهل راو كاترين التي جلست بصمت عند طرف الطاولة، مركزاً انتباهه على ماريا وافريل مقدماً لهما الطعام من طبقه مصراً على الرقص معهما بعد انتهاء العشاء، بطريقة جعلتها لا تستطيع تجاهل تحرشاته دون ان تكون فظة معه. وكم استراحت عندما ركز اهتمامه على ماريا، أما عيناها فقد التقطتهما عينا كارلوس عبر الغرفة. وسرعان ما اقترب منها وهو يقول :

ـ أظن ان علينا الانسحاب الآن.

ـ سيغضب راو.

ـ دعي الأمر لي.

مدّ ذراعه ليحيط كتفيها، جاذباً إياها نحوه، وهو يقول :

ـ سنودعكم الآن يا راو.

وقف راو أمامهما، محمر الوجه، وجسده يكاد يتهاوى :

ـ لا يمكنكما الذهاب الآن. سنرقص أكثر ثم نسبح.

تقدم خطوة نحو افريل.

ـ انت لا ترغبين في إفساد هذا الثوب يا عزيزتي؟ سأساعدك على خلعه.

ـ هذا حقي يا رجل.

كان صوت كارلوس ناعماً كنسيم الصيف، فقال راو محتجاً :

ـ لكنني صديقك. .

ـ إذاً كن صديقاً ودعني احتفظ بها لنفسي.

وفرك كارلوس شفتيه على خدها وهو يضيف :

ـ إنها جميلة جداً، ليكن عندك قلب يا راو. . ودعني أذهب بها.

ضرب راو كارلوس على ظهره وهو يقول :

www.elromancia.com

ـ هيا اذهب. . لن يقال أبداً ان راو بروميللي حرم صديقه الاستمتاع.

تركهما ثم لوّح الى ماريا متوجهاً إليها. أما كارلوس فقد جر افريل بسرعة خارج الغرفة، نزولاً نحو غرفتيهما، وما إن وصلت الى باب غرفتها حتى تنفست الصعداء. . . قالت بشدة :

ـ أنا أكره السكارى.

ـ لا يجب ان تظهري خوفك.

أنزل يديه عنها وبقي قريباً ثم تابع :

ـ لقد بدوت خائفة جداً هذه الليلة حتى ظننت انه سيغمى عليك.

ـ ما كان ليحدث ذلك، اذ لن اعطيه فرصة حملي الى غرفتي أبداً.

رغم الظلام الذي غشيهما شاهدت ابتسامة كارلوس الذي قال :

ـ كنت سأسرع الى نجدتك.

ـ ألا تخشى ضياع العقد إن وقفت بين الرجل ورغبته؟

وساد صمت ثقيل جعلها تحدق الى وجهه آسفة لأنها علمت انها قد تمادت كثيراً :

ـ أنا آسفة يا كارلوس، لم اعني ما قلت.

ـ ولماذا تعنينه؟ كل ما عملته او قلته منذ التقينا لم يقنعك بالعكس. لك الحق في ان تحاري في أمري.

ـ ولكنك لم تخذلني حتى الآن، ولولاك لكانت هذه الأيام الأخيرة كابوساً.

ـ الم تكن كابوساً؟

ـ بالطبع لا. . لقد جعلتها عطلة حقيقية تقريباً.

ـ تقريباً؟

ـ كنت خائفة من وقت الى آخر، لكنني لم أعد أخافك.

ـ هذا جيد.

نظرا الى بعضهما نظرة عميقة امتدت كالزمن، دون ان تدري وقفت على رؤوس أصابعها طابعة قبلة خفيفة كالريش على خده.

ـ شكراً لك يا فارسي الحارس الأسود الشعر.

وقبل ان يتفوه بكلمة دخلت الى مقصورتها. فجاءها صوته بثبات عبر الباب :

ـ اقفليه. . إنما ليس خوفاً مني.

ـ بالطبع.

كانت ضحكتها مهتزة، لكنها نفذت ما أمرها به. وما ان سمع الباب يقفل من الداخل حتى ابتعد.

ووقفت حائرة وسط غرفتها، تشعر بتوتر شديد منعها الخلود الى الفراش، فهي ما تزال خائفة ضمن هذه الجدران الأربعة لأن كارلوس بعيداً عنها في غرفته الملاصقة. نظرت الى الباب الفاصل بينهما وهي تتصوره يخلع سترته أو يفك أزراره. . .

طردت تلك الأفكار بسرعة وراحت تخلع ثيابها وهي تفكر بهذه الليلة المرهقة للأعصاب، خوفها من راو بقي كما هو بينما نمت ثقتها بكارلوس. . . من الغرابة الوثوق برجل لم تكن تعرف عنه شيئاً منذ أربعة أيام. اقلقتها هذه الفكرة التي بعثت في نفسها اضطراباً لم تستطع معرفة سببه، لكنها عادت فرأت ان الأفضل للمرء ابقاء بعض الأمور دون تحليل او حل لئلا تأخذ مساراً قاسياً.

انزلقت بين الاغطية الحريرية مستلقية على الوسائد. هل استلقى كارلوس في فراشه ايضاً، حيث شعره الأسود يلمع على الأغطية البيضاء، أم انه ما زال يدرس العقد الذي شاهدته يقرأه مرات عديدة. لكن لا يهم ما يفعل فهو ليس جزءاً من حياتها، إنما هما

شخصان التقيا صدفة وسيفترقان قريباً. . . كما السفن العابرة ليلاً.
وبتنهيدة عميقة، أغمضت عينيها.

٥ ـ فلأكن صديقاً أو. . .

بعد ان فتحت عينيها بقيت افريل لحظات جامدة ينبئها حدسها بحدوث أمر غريب هذا الصباح لا تعرف عنه شيئاً، ابعدت الاغطية عن جسدها واسرعت لتنظر خارجاً.

كانت تتوقع ان يكون اليخت راسياً، كعادته في مثل هذا الوقت، لكنها وجدت المحركات لا تزال دائرة، وكان هذا الأمر شيئاً متوقعاً ما دامت اليابسة لا تبعد عنهم سوى ثلاثمئة يارد، وقد استطاعت رغم هذه المسافة التي تفصلهم عن البر ان ترى رؤوس الأشجار وبروج الفنادق البيضاء. كان اليخت يمخر عباب الماء حتى يصل الى اليابسة التي تعتبرها خشبة الخلاص. التقطت انفاسها عندما بعثت فكرة الخلاص في نفسها شعوراً قوياً بخسارة شيء تملكه، ودهشت من هذا الشعور فهي ما انفكت منذ صعدت الى هذا اليخت، تدعو ربها ليهديها الى طريق الهرب. وها عندما سنحت الفرصة تجد نفسها غير راغبة في الابتعاد عن الشمس والبحر. . . وعن كارلوس، خاصة كارلوس الذي أصبح بالنسبة لها شيئاً هاماً.

جلست بشكل فجائي عندما برزت أمامها حقيقة واضحة كعين الشمس وهي أنها لا تريد الابتعاد عن كارلوس بريوري.

ليلة أمس اقنعت نفسها بضرورة مغادرة هذا اليخت لأن لا شيء مشترك بينها وبين كارلوس يمكّنها من بناء علاقة متينة. إن رفضها الابتعاد عن اليخت بسبب كارلوس فكرة مجنونة، لكنها لا تستطيع إخماد مشاعرها بعد الآن، فهي لا تريد تركه لأنها. . . لكنها لم

www.elromancia.com

تستطع صياغة الكلمات المعبرة.

استحمت بسرعة ثم ارتدت ملابسها. لكن تلك الكلمات التي رفضت لفظها أخذت تتردد في ذهنها عندما سرحت شعرها أمام المرآة ناظرة الى عينيها اللتين تفضحان حقيقة شعورها.

إنها تحب كارلوس!

ها هي قد عرفت أخيراً سبب الاثارة التي تحس بها كلما كانت قربه. وسبب ذوبان عظامها عندما تتجول عيناه الرماديتين على جسدها أو تسارع نبضها كلما لمست يده يدها. لا يهمها ان يعتبرها وسيلة لذر الرماد في عيني بروميللي. فالحب لا يُقيّده المنطق، ولا يمنع نموه عدم كونه متبادلاً. لقد جعلتها هذه الحقيقة تواجه المستقبل المقبل بعين كئيبة حزينة، اذ كم ستحتاج من وقت لتنساه بعد ان يرحل كل منهم في حال سبيله. وبقي السؤال دون جواب لذا حاولت تجاهله او نسيانه.

تقدمت نحو الكوة ثانية لتنظر الى الخارج، فوجدت انهم دنوا أكثر فأكثر من الشاطىء حيث تراءى أمامها الميناء والسفن، وكم تمنت لو تعرف موقعهم أهم في فرنسا أم إيطاليا؟ لكن لا فرق عندها، فالبلدان يمثلان لها خشبة خلاصها الى انكلترا.

خرجت الى السطح. وعندما دنت من مقدمة اليخت، شاهدت الجسم الطويل الجامد، يقف عند الحاجز. فترددت، ثم اجبرت نفسها على التقدم. لدى سماعه خطواتها استدار لتتفحصها عيناه الرماديتان.

ـ حسناً يا افريل.. إننا ندخل الى الميناء... ميناؤك. هل تنوين الجري الآن طلباً للسلامة؟

ـ ولماذا تسأل؟

ـ كنت اتساءل ما اذا كنت قد غيرت رأيك. فعلى كلٍ.. لم

تكن الرحلة سيئة، اذا ما استثنينا تصرف راو ليلة أمس.

ولم تدر ما تقول، لذا تقدمت من الحاجز أكثر لتحدق في الفراغ، لكن كارلوس قاطع تأملها قائلاً:

ـ الميناء الى يسارك.

عندما حولت رأسها تبين لها انه ما زال يحدق اليها، أرادت ان تحدثه لكنها لم تستطع. فكم يؤلمها الوقوف الى جانبه دون ان يكونا على وئام، وكم كانت غبية عندما غاب عنها ما يحدث داخلها من تغييرات.

ـ هل وضبت ثيابك؟

سؤاله اقتحم أفكارها فأجبرت نفسها على الرد:

ـ ليس لدي شيء آخذه معي.. فالملابس لراو. اشترتها كاترين بماله.

ـ انها لك!

ـ انت تعرف ما اعنيه. لا أريد ان آخذ شيئاً قد يذكرني بهذه الرحلة. أريد ان أنسى كل شيء.

ـ وهل هذا يشملني؟

كان صوته حاداً كما لم يكن قطّ، كشف عن خبايا ومكنونات قلبه، فرفعت نظرها اليه لتجد عينيه ثابتتين عليها، فاستدارت بسرعة، وعاد ليكرر:

ـ هل نسيان الرحلة يشمل نسياني أيضاً؟

أمسك بذراعها فأجفلت من لمسته فتراجع على الفور، وقد احمر وجهه.

ـ لا تجيبي... لقد اعطيتني الرد لتوك.

التوتر جعلها تقول أول شيء يبدر الى ذهنها.

ـ انا لم اعطك الرد.. لن استطيع نسيانك لأنك جعلت هذه

الأيام رائعة.

ـ هل تقولين هذا على سبيل المجاملة، أم انك تعنين قولك؟

ـ بل عنيت كل كلمة قلتها، إذ ماذا كنت سأفعل بدونك. اعتقد أنني كنت سأقفز الى البحر!

رمت هذه المزحة كي تخفف التوتر الذي بدأ يغلفهما، لكنها لم تنجح، اذ لم يبتسم بل تابع تحديقه اليها بنظرات عميقة. حاولت ان لا تقاطعها لئلا تندثر السعادة والأمل اللذان لاحا في أفق قلبها. أيعقل ما تراه ام انه وليد مخيلتها الظمأى اليه؟ فكارلوس رجل خبرته الحياة ودعكته، يملك سحراً يجيد استخدامه بطريقة آلية. لهذا السبب لم تجرؤ على تحليل ما تخفيه كلماته. سألها :

ـ أمن الغباء ان آمل بأن تغيري رأيك فلا تغادرين اليخت؟

التقطت انفاسها ؛ لا يمكن ان يعني... لا، هذا مستحيل! وحاولت ان تتكلم، ولكنها وجدت لسانها جاف حتى عجزت عن تحريكه. فأردف كارلوس :

ـ لا اريد ان نتظاهر أكثر من هذا. راو مقتنع الآن أننا نحب بعضنا، لذا لا حاجة الى التظاهر لنقنعه أكثر. فأية عاطفة قادمة يجب ان تكون حقيقية... لأننا نعنيها. ما أحاول قوله أنني اريد ان تكون حقيقية.

ـ لا... هذا مستحيل.

ـ فهمت... لم ادرك انك ما زلت تكرهينني كثيراً.

ـ أنا لا اكرهك.. ولكن هذا لا يعني انني استطيع...

وتهدج صوتها بالدموع التي خنقتها، وتابعت :

ـ اعتقدت بأنك صدقتني.. عندما قلت إنني لست... ان كاترين...

استدارت وهي تكافح كي تستعيد رباطة جأشها، فأحست

بكارلوس يقترب منها، وأنفاسه الحارة تلفح وجهها.

ـ افريل.. أقسم انني ما قصدت ما فهمته... لم اكن اطلب منك ان... حبيبتي..!

أدارها لتواجهه ثم تابع :

ـ أريد ان ابقى معك لأنني اريد هذا.. حقيقة لا تظاهراً، أو خداعاً.. ألا تفهمين ما أحاول قوله؟ أريد ان نبدأ من جديد، فلنتظاهر بأننا التقينا لتونا، كشخصين عاديين.

جعلتها السعادة تطفو، كأنها تطير فوق سحابة وردية وحدها، تلفها السعادة والمرح، وعندما شاءت العودة من عالمها الوردي لتتكلم عجزت عن ذلك، لكن الكلمات لم تكن ضرورية، لأن وجهها كان يفضح أفكارها، وجذبها اليه ليريح وجهه على قمة رأسها، وتمتم :

ـ حبيبتي افريل.. أشعر كأننا نرى بعضنا للمرة الأولى.

وكي يؤكد كلماته، تراجع خطوة وأبعدها عنه :

ـ كيف حالك آنسة كارينتر؟ اسمي كارلوس بريوري.

ضحكت وهي تمدّ يديها، الى يديه ملتمسة دفئهما. ثم لفّ ذراعه حول كتفها وجذبها نحو حاجز المركب، ليراقبا دنو المركب، وخطوط المراكب التي تأخذ أشكالاً محددة.

ـ مسترال هو أكبر يخت هنا، وهذا ما سيجعل راو سعيداً جداً.

ـ انه يتمتع بماله. وأنا أكره أصحاب الملايين الشريرين.

ـ تكرهين من يجعلك تدفعين ثمن مخابراتك الهاتفية الخاصة؟ أنا اعرف هذا الصنف.

ـ وما صنف أصحاب الملايين أمثالك؟

ـ أنا لم أصبح مليونيراً بعد.

ـ ألهذا تريد الحصول على العقد مع راو؟

تأخر كارلوس في الإجابة لكنه قال أخيراً :

ـ الجانب المالي منه فقط. أرباحي الشخصية ليست مهمة. ولكن العقد سيعطيني فرصة التنفس التي أحتاجها لإعادة تنظيم الشركة. وعقد بناء ناقلتي البترول من راو هو كل ما أصبو اليه.

ـ وما فرصتك في الحصول عليه؟

ـ لقد بحثنا كل التفاصيل وتمت الموافقة عليها. وكل ما نحتاجه هو التوقيع. لكن راو بطبيعته يجد الأعذار التي تؤخر توقيع العقد، فبالأمس تذرع بعرضين اقترحتهما شركة يابانية، واليوم سيجد عذراً آخر.

ـ أتعني انه يؤخرك عمداً؟

ـ إنه يحب استعراض عضلاته الذي يبعث في نفسه إحساساً بالقوة.

ـ أتمنى لو تستطيع فعل الشيء نفسه معه.

ـ يؤسفني ألا أملك القوة.

نظرت اليه وهي تقول في نفسها ليته يعرف مدى قوته وتأثيره عليها :

ـ لا تقلق يا كارلوس. . أنا واثقة من انك ستحصل على العقد.

ـ عندما أكون معك أشعر بأن العقد غير مهم. كانت طفولتك خالية من الترف والثراء، لكنها على ما اعتقد كانت أسعد من طفولتي بأشواط وأشواط.

كلماته كشفت شيئاً، فحاولت الحصول على أكثر، فقالت بحذر :

ـ ألم تكن سعيداً في طفولتك؟

ـ أرسلت الى مدرسة داخلية في السابعة من عمري. حيث كنت أعود الى منزلي في العطلات فقط.

ـ كم كنت طفلاً ثرياً مسكيناً.

ـ الآن فقط أدركت كم كنت مسكيناً. لن أرسل أحداً من أطفالي الى مدرسة داخلية أبداً. . على الأقل ليس قبل بلوغهم الثالثة عشرة، هذا اذا أرادوا ذلك.

ـ أوافقك الرأي. . فمن الشاذ ان يعتني بأطفالك الآخرون.

تنهد، ثم جذبها اليه.

ـ أنا أتوق الى ما تبقى من هذه الرحلة، لأن السعادة تغمر قلبي كلما ازددت معرفة بك.

سمعا وقع أقدام خلفهما. كانا كاترين وراو الذي صاح :

ـ مونت كارلو !. . سوف نتناول العشاء على البر لنجرب حظنا على موائد القمار.

أجابه كارلوس :

ـ أشعر وكأنني محظوظ.

ضرب راو ذراع كاترين مازحاً :

ـ وأنا أيضاً. . كيف تشعرين أنت؟

ـ أشعر مثلك تماماً.

ـ اذاً سأعطيك ألف جنيه لأرى إن كان بإمكانك مضاعفتها.

فرمت كاترين بنفسها على صدره قائلة :

ـ أنت لطيف مع طفلتك الصغيرة.

أحس كارلوس باضطراب افريل، لذا جذبها مبعداً إياها عن هذه الصورة، وكأنه يريد ان يريها منظراً مختلفاً للميناء.

عند الضحى رسا اليخت في الميناء الى جانب يخت جميل، أقصر من يختهم بخمسة أقدام، مما أثار السعادة في قلب راو، وقرر هو وكاترين وأمادو وماريا قضاء يومهم على الشاطىء، لكن كارلوس أعلن انه وافريل سيبقيان على اليخت.

قال لها كارلوس بعد ان غادر الجميع :

ـ كم ستمكثين من وقت لتبدلي ثيابك؟

ـ أي نوع من الثياب تريدني ان ارتديها؟

ـ ثياباً تناسب الدعوة الى الغداء.

ـ اعطني نصف ساعة.

ـ ربع ساعة فقط !

ابتسمت ثم هرعت الى غرفتها، لترتدي ثوباً جميلاً ولتلوّن شفتيها بأحمر الشفاه وعينيها بالظلال. وعندما انتهت اسرعت الى كارلوس الذي ينتظرها وهو يبدو وسيماً جداً، وبعد ذلك أسرعا الى الرصيف ليفتح لها باب سيارة مكشوفة :

ـ هذه السيارة لنا اليوم. . مع تحيات السيد بروميللي.

ـ هل يملك سيارة في كل ميناء؟

ـ بل سيارة وامرأة. إياك ان تنظري إليّ نظرة اتهام فانا لست راو بروميللي، تذكري ذلك جيداً.

قاد كارلوس السيارة بسرعة وحذاقة، وبعد وقت قصير أصبحت مونت كارلو خلفهما، ثم تحتهما عندما تسلقا الجبال صعوداً.

قالت له :

ـ لم أجيء الى جنوب فرنسا من قبل. بل لم أسافر الى الخارج.

ـ العالم كله أمامك، أحب ان اريك إياه يا افريل، وسأكون سعيداً بتعليمك أشياء كثيرة، فهل ستكونين تلميذة طيبة؟

ـ هذا يتوقف على أستاذي ومدى إعجابي به.

ـ وهل يعجبك إذا كنت أنا؟

ـ إننا في جولة سياحية، لا في رحلة صيد؟ إلى أين الذهاب؟

ـ إلى سان بول دوفينيس. . . هناك مستعمرة فنية كبيرة تستحق

العناء لزيارتها، يقع قربها فندق ومطعم يدعى «كولومبادور».

ـ أي «الحمامة الذهبية».

ـ ولكنها في هذا الوقت تشبه الطاووس المختال ! لقد اتصلت لأحجز طاولة لنا، لكن الخط كان مشغولاً. أرجو ان نتمكن من الدخول.

ـ لا يهمني مكان الغداء.

ـ اذاً. . إلى الجحيم بالحمامة الذهبية، أنا سعيد لأنني معك.

كانت كلماته صدى لرغباتها. لذا تساءلت عما اذا كانت هذه طريقته ليخبرها أنه قد قرأ أفكارها.

قاربت الساعة الثانية عندما وصلا الى «سان بول» حيث كان عليهما إيقاف السيارة خارج أسوارها القديمة ليسيرا صاعدين درجات الطريق الموصلة الى داخلها. بدت الأراضي الريفية من ذاك العلو مترامية، تختلط فيها ألوان أغصان الزيتون الخضراء والرمادية بألوان أشجار السرو الأكثر اخضراراً حيث يتخللها حمرة قرميد سطوح المنازل، فذكرها هذا المنظر الساحر بتلك اللوحات التي طالما أعجبتها. لذا لم تكن تصدق أنها الآن في هذا المكان الساحر حيث ترى المشهد بأم العين. تنهدت :

ـ أتمنى لو أنني أعرف الرسم.

ـ يستطيع مطلق انسان الرسم.

ـ لكن لن يتقن كل انسان الرسم.

ـ وهل انت من الأشخاص الذين لا يعملون شيئاً إلا اذا كان كاملاً؟

ـ لست واثقة من ذلك. لكنني أعرف انك منهم.

فضحك قائلاً :

ـ ما هي هواياتك؟

ـ ضيق وقتي لم يسمح لي بممارسة هواية ما أو التعلق بها. لقد قضيت أوقاتي كلها في بناء حوض السفن.

ـ ومتى توفي والدك؟

ـ توفي منذ خمس سنوات، بعد أن قضى فترة زمنية مريضاً، فاستلمت أعماله كلها إثر تخرجي من الجامعة.

ـ كم تمنيت تحصيل الدراسات العليا.

ـ ولماذا لم تذهبي الى الجامعة؟

ـ لم أكن احب العيش في مجمع خاص بالطلاب، لكنني نادمة الآن.

ـ اذاً عودي الى الجامعة. . سوف أدعمك.

هزت رأسها :

ـ لقد تعلمت عدم قبول المال من أيّ كان.

ـ اعتبريني صديقك.

قال تلك الكلمات لكنه خشي ان تسيء تفسيرها لذا أضاف موضّحاً :

ـ ليس في ذهني أي دافع خفي.

ـ أنا واثقة من هذا. ولكن الجواب لا. سأتابع تحسين ثقافتي عبر المكتبة العامة.

ـ لا أحب استخدام كتب لا تخصني.

جعلتها هذه الملاحظة تدرك الفرق الشاسع في تنشئتهما. فما يعتبره مبلغاً ضئيلاً تعدّه هي ثروة كبيرة.

قال كارلوس :

ـ لقد وصلنا تقريباً.

لاحظت أنهما وصلا الى باب في جدار صخري مرتفع، قادهما الى باحة مرصوفة تحيطها أشجار قديمة تتخللها الطاولات

والكراسي.

سارا عبر الباحة الى غرفة طعام واسعة ذات سقف منخفض، جدرانها مغطاة باللوحات. وعندما ذهب كارلوس ليطلب طاولة تأملت افريل بعض لوحات «الكانفا» مذهولة لأن اللوحات لم تكن نسخاً كما توقعت إنما لوحات أصلية.

عاد كارلوس وابتسامة عريضة على وجهه تشير الى انه نجح في الحصول على ما يريد. فتبعته خارجاً الى شرفة واسعة، حيث الطاولة التي اختارها لهما، كانت هذه الطاولة واقعة في مكان يخطف الانظار ويقطع الانفاس، يتراءى أمامها هضبة تلفها بساتين الزيتون التي تنقلب ألوانه من خضراء زاهية الى فضية سحرية عندما تتلاعب بأغصانها الريح.

ـ اللوحات هنا تساوي ثروة.

ـ صاحب المطعم ذو ذوق مرهف. . والفنان عادة يدفع الفاتورة بسعادة.

التقط لائحة الطعام والتقطت هي بدورها لائحة أخرى مكتوبة باللغة الفرنسية جعلتها تدرك للمرة الثانية المسافة الشاسعة والفروقات الواسعة بين نشأتيهما لا من حيث الثراء فحسب انما من حيث الثقافة أيضاً.

ـ اختر الأطعمة عني لأنني لا أجيد قراءة الفرنسية.

ـ حاولي القراءة وإن عجزت عن فهم شيء ما اترجم لك.

ـ يا لك من قذر.

هز رأسه موافقاً وهو يبتسم. أحست انه لن يغير رأيه، لذا راحت تدرس اللائحة فترة طويلة، ثم قررت ان تطلب ما هو واضح لها، . . فسألها كارلوس :

ـ ألا يسرك ما انجزته؟

ـ سأعرف بعد ان آكل. فربما يكون اختياري كريهاً.
ـ كل شيء هنا ممتاز.
بعد ساعة مضت وافقت رأيه بسعادة، فقالت وهي تنظر إليه :
ـ من الجيد ان لا تدوم هذه الرحلة شهراً، لأنني ساضطر بعدها الى اتباع حمية خاصة، لا اعتقد انك ستتبعها.
ـ القلق يبقيني نحيلاً.
ـ لكنك تبدو هادئاً متمالك الأعصاب.
ـ هذا مجرد تمثيل لخداع منافسي وزبائني.
رأت بهذا الكلام مقدمة لسؤال آخر كان يقلقها :
ـ هل يعلم راو مدى احتياجك لهذا العقد؟
ـ يعلم أنني اريده، لكنه لا يعلم مدى حاجتي الماسة إليه لأن أعمالي ستتوقف إن لم احصل عليه.
ـ هل الأمور صعبة الى هذه الدرجة؟
ـ أنا سأكون على ما يرام لأن جدي الأكبر أورثني ثروة كبيرة لكني سأجبر على اقفال حوض بناء السفن.
ـ أليس من الأفضل اقفاله؟ طالما يستنفذ منك جهداً كبيراً.
ـ لا. . إننا نعمل في مجال بناء السفن منذ ثلاثماية سنة، ولا أنوي التراجع الآن، لقد صرفت ثروة في تحديث الحوض. وسأتغلب على الصعوبات. وليس ذلك بسبب الطموح او الرغبة في بناء ثروة اخرى يا افريل. إنما لئلا ألغي إرثي وإرث العاملين معي لأن معظم العاملين معي الآن كان آباؤهم وأجدادهم يعملون مع جدي وأبي. لذا أنا ملزم بالاستمرار من أجلهم أولاً وأخيراً وسافعل ذلك مهما كلفني.
لقد ذهب ذلك الرجل الساخر الذي عرفته خلال الأيام الماضية ليحل مكانه رجلاً عظيم المسؤولية، يعنى بموظفيه عناية كبيرة

جعلته يقبل دعوة راو.
ـ ماذا ستفعل لو طلب منك راو المشاركة في رحلة أخرى السنة المقبلة؟ هل ستكون مجبراً على القبول؟
ـ نعم، شرط أن اصطحب فتاتي معي !
بعد العشاء، تجولا في الشوارع الحجرية المتدرجة. كانت أكثر المحلات معارض، فيها لوحات غنية بالألوان، لكنها فقيرة إلى الموهبة. شعرت بالسرور عندما قادها كارلوس أخيراً إلى السيارة التي أخذت تنهب الأرض حتى توقفت عند تلة أخرى. أمسك يدها ليقودها صاعداً طريقاً متدرجاً آخر ومنه الى أراضٍ أخرى معتنى بها جيداً حيث تنتشر بعض المنحوتات العصرية فوق مرجة خضراء وبناء عصري رائع يرتفع نحو السماء الزرقاء.
ـ هذه مؤسسة «مايبت» فيها بعض المعروضات الفنية الرائعة. وهم حالياً يعرضون لوحات كارلوس دوستامب.
ـ كارلوس آخر !
ـ إنه فنان حقيقي ، انتحر عندما أحسّ ان موهبته تخونه.
ـ وهل بإمكانك ان تفعل شيئاً كهذا أبداً؟
ـ أبداً . . إنها طريقة جبانة للهروب.
ـ لكنها في الوقت نفسه طريقة تتطلب جهداً كبيراً وشجاعة قصوى.
نظر إليها كارلوس :
ـ أأنت حقاً ابنة رجل دين؟ يا ترى ما كان رأي والدك بهذه الأفكار؟
ـ لم نتناقش بشأنها لكنني اعتقد انه ما كان ليغضب.
هز كارلوس رأسه.
ـ عندما أظن أنني بدأت أعرفك، أكتشف جانباً آخر من

شخصيتك. أنت فتاة متعددة الزوايا، لذا لن أضجر منك أبداً.

أشعرتها كلماته بالسعادة لأنها تشير الى مستقبلهما معاً، لكنها خافت إظهارها لذا سارعت الى دخول المتحف أمامه.

في الداخل شعرت ببعض الحدة، مما ذكرها بالرجل الواقف الى جانبها، بدا لها هذا الرسام المعروضة لوحاته يملك أشياء كثيرة مشتركة مع كارلوس. ولكن هل تعرف كارلوس بريوري جيداً؟ أتستطيع أيام قليلة ان تكشف خبايا رجل ككارلوس؟ قد تحتاج الى عمرها كله لتفهم رجلاً مثله، سألها وقد رآها تتنهد :

ـ لمَ التنهد؟

ـ أنت لغز يحيرني.

ـ سيكون لديك وقت كاف، خلال الأيام المقبلة في الرحلة، لكي تحلي ألغاز أبي الهول.

ـ أبو الهول كان امرأة. . وأتمنى ان لا يكون هذا هو سرك !

لمعت عيناه :

ـ أترغبين في ان أبرهن لك العكس؟

ـ أكتفي بكلمتك. (قالت الكلمات ضاحكة).

كان الغروب قد بدأ عندما عادا إلى مونت كارلو، متمنية قضاء الامسية معه دون راو والآخرين. لكنها كانت تخجل من اقتراح كهذا. عندما وصلت إلى متن اليخت مسترال، أسرعت إلى غرفتها لتغير ثيابها.

حلّ الظلام ببطء فشعت أنوار مونت كارلو على الساحل وكأنها عقد من الألماس، وما ان انضم اليهما راو وكاترين، حتى هبطوا جميعاً إلى البر، وصعدوا إلى سيارة ضخمة، باتجاه فندق «دوباري».

ساد افريل انطباع بأنها تخطو من هذا العالم إلى عالم القصص

الخرافية. إلا ان منظر كارلوس وهو يحدق إليها من فوق الطاولة عبر صف من الأزهار أعلمها بأنها ليست في حلم. ومع ذلك فما هو الواقع؟ وخجلت من الفكرة وصممت ان لا تدع فن النطق يفسد عليها سعادتها الليلة، ولا ان يشوه ما تبقى من عطلتها. لن تفكر بالمستقبل، سوف تعيش يوماً بيوم، تتقبل كل يوم كما هو.

بعد العشاء سارا جميعاً عبر الساحة الى الكازينو، وهو بناء مزخرف مضاء بفيض من الأنوار، كانت المقامرة في غرفة مكتظة، كان آخر شيء ترغبه، لكنها ابقت افكارها لنفسها فسارت معهم عبر الغرفة المليئة بطاولات الروليت الى غرفة مفروشة بالسجاد حيث توجه راو رأساً الى طاولة خالية، يقف حولها عدة موظفين، جلس أمادو وكارلوس إلى جانبه بينما جلست افريل خلف كارلوس رافضة المال الذي عرضه عليها للمقامرة، قائلة انها تفضل مراقبتهم، وسألها كارلوس :

ـ هل تعرفين ما هي هذه اللعبة؟

ـ أعرف فقط أنها لا تشبه لعبة الزورق.

أخفى ابتسامته :

ـ إنها لعبة ورق. . وهي أفضل من لعبة الروليت، وأقل تدميراً اذا لم يحالفك الحظ.

راقبت افريل وجهه وهو يلعب، لم يكن يكشف عن شيء، ولا يظهر ما اذا كانت ورقته جيدة أم سيئة. وكذلك راو وأمادو اللذان أخذا يتحدثان بالايطالية، وكانت ماريا تلعب أيضاً على الطاولة معهم، أما كاترين، حقيبتها المملوءة بفيش اللعب، ففضلت لعب الروليت، فتساءلت أيمكن ان يفتقدها أحدهم اذا ما خرجت لتنشق الهواء العليل؟ وعندما همّت بالخروج حدق اليها كارلوس ليسألها بهدوء :

ـ هل ضجرت؟

فهزت رأسها نفياً ثم عادت الى الجلوس حيث أكمل اللاعبون مقامرتهم فكان ان انضم الى طاولتهم العديد من الأشخاص، وكان قد جلس قبالة كارلوس امرأة دفعت انفاسه الى التهدج ووجهه الى التلون فاذا به ينهض عن كرسيه محيياً ليعود بعد ذلك الى أوراقه، ويداه مرتجفتان دليل اضطرابه من رؤيتها، وكان واضحاً ان كارلوس يعرفها جيداً.

من هي يا ترى؟ فمن الواضح ان علاقتهما ليست عابرة، لأن تلك المرأة في العقد الرابع من عمرها ممتلئة الجسم جميلة الوجه ذات ملامح رائعة وبشرة ناعمة وكأنها منحوتة نحتاً، وشعرها أحمر ناعم، وعينين أجمل ما فيها، زرقاوين كبيرتين. استمر اللعب، وكانت تراهن بمبالغ كبيرة توازي مراهنة الرجال وتتقبل الخسارة والربح باباء مماثل.

ازدادت افريل ضجراً، وما كادت تقف، حتى انتهت اللعبة فجأة. . عندها تقدم كارلوس من المرأة يتحدث معها، فلم تتبعه افريل، بل اخذت تتمشى في الناحية الاخرى من الطاولة، بعيدة عن الاشتراك في الحديث مسافة تخولها سماع ما يقال، فاذا بتلك المرأة تقول بصوت خفيف فيه لكنة لم تستطع افريل تمييزها.

ـ كارلوس يا عزيزي. . ما هذه المفاجأة! اخبرتني امك انك في رحلة بحرية لكنني لم اعرف انك برفقة السيد بروميللي.

ـ انها رحلة استجمام وعمل.

ـ هذا ممتع. .

واستقرت عينا المرأة للحظة على افريل وتابعت.

ـ وكم ستبقى على متن اليخت؟

ـ اسبوعين آخرين.

ـ انا وجودي نقيم في فندق «دورشستر». . ها هي قد أتت.

نظرت خلف افريل، ووجهها يشرق بابتسامة لفتاة صغيرة تتقدم منها.

القرابة بين المرأتين كانت واضحة، فوجه الصغيرة يشبه في ابتسامته وجه الكبيرة، وبشرتها كبشرة تلك المرأة وشعرها أيضاً أحمر جميل.

ـ جودي. . حبيبتي. . انظري من هنا.

استدار كارلوس ليحييها، فشهقت الفتاة بسعادة عندما شاهدته.

ـ كارلو. . !

كان صوتها يحمل لكنة امها نفسها.

ـ رائع أن أراك! أنت مقيم في فندق «باريي».

هز رأسه، ولكن قبل ان يتكلم، تحركت افريل مبتعدة، بعد ان شعرت بانها في طريقه. فهي لا تعرف كيف يشعر نحو الفتاة، ولكنها ليست بحاجة للتساؤل عن شعور الفتاة نحوه، اذ بدا مكتوبا على وجهها لذا لا عجب من اضطرابه لدى مشاهدة أمها تجلس في مواجهته. . من هما هاتان المرأتان، لو تعرف أكثر عن حياته!

توجهت الى غرفة السيدات، غير راغبة في الانضمام اليه فجلست أمام المرآة، لتصلح زينتها:

ـ انت مع كارلوس. . أليس كذلك؟

نظرت الى عيني المرأة الزرقاوين بدهشة.

ـ أجل. .

أخرجت المرأة مشطاً وأخذت تصفف شعرها الحريري المتموج:

ـ أنا ماغي غاردنر.

صمتت قليلاً، بانتظار ان تعرفها افريل، وعندما لم تصدر عنها

كلمة قالت :

ـ أرى ان كارلوس لم يخبرك شيئاً عن جودي.

ـ لا. .

ـ أمر مفهوم كما اعتقد، لا بد ان الأمر. . يخلو من اللباقة، اذ كيف يتحدث عن خطيبته وهو في رحلة مع بروميللي.

سمعت افريل الكلمات وكأنها تنطقها بلغة غريبة، فهي قد سمعت كل كلمة قالتها دون ان تدرك معناها. فتابعت المرأة :

ـ تبدين دهشة؟ ربما ما كان عليّ أن أتكلم.

ـ ولماذا لا. ؟ يسعدني لقاء أصدقاء كارلوس.

حاولت الوقوف، لكن ساقيها لم تطاوعانها، لذا استدارت في كرسيها نحو المرأة تحدّق الى صورتها، فسرّها ان الضوء الأحمر قد اخفى وجهها الشاحب. . . سألتها السيدة فوستر :

ـ أكنت تعرفين كارلوس قبل هذه الرحلة؟

ـ لا.

ـ آه !

كان في كلماتها هذه آلاف الايحاءات والمعاني، فاندفع الدم حاراً الى وجه افريل وكم رغبت في ان تقول لها : يجب ألا يحكم الانسان على الناس من خلال المظاهر. لكنها وان تكلمت لن يصدقها احد، أحست الآن بحقارة الوضع الذي وجدت فيه فتمنت لو ترجع عقارب الساعة الى الوراء لتعود تلك الفتاة البريئة التي كانت قبل دعوة كاترين إياها قبل عشرة أيام.

ـ أأنت بخير؟ لِمَ هذا الصمت؟

ـ رأسي يؤلمني بسبب الحر الشديد.

ـ كيف أحوال كارلوس مع السيد بروميللي، ام انك لا تعرفين؟

ـ يبدو انهما متفقان. . وهل هناك سبب لئلا يتفقا؟

ـ في الواقع كنت أشير الى العقد. ولكن ربما لا تعرفين عنه شيئاً.

ـ أعرف.

توقفت عن الكلام، فهي لا تريد قول شيء قد يكون كشفاً لأسراره، فضحكت المرأة وقالت :

ـ ابتعدي عن هذا التكتم لأنني أعرف كل شيء عن العقد الذي جعل كارلوس يذهب في هذه الرحلة. كم سيكون رائعاً لو حصل عليه، اذ قد يستقر أخيراً بعد أن أجهد نفسه خلال السنتين الماضيتين بعد ان عمل دون توقف محاولاً إعادة الشركة للوقوف على قدميها ثانية، وهذا أمر سخيف منه، فلو قبل مساعدتي لما اضطر الى فعل شيء كهذا.

سألتها افريل دون أن تتمكن من منع نفسها :

ـ مساعدتك؟

ـ مساعدة شركتي.

وفجأة عرفت افريل لماذا توقعت المرأة ان تعرفها، إنها صاحبة شركة غاردنر للملاحة. عند رؤيتها تعبير وجه افريل ابتسمت المرأة قائلة :

ـ فلولا حب كارلوس لجودي لقبل مساعدتي بسهولة أكثر، لكنه رجل ذو كبرياء، شعر بأن عليه ان يشق طريقه بنفسه، لئلا أحسبه يريد جودي لأنها ابنتي. فمن الواضح أنه يحبها كثيراً.

حاولت افريل أن لا تستمع لما يقال. لكن الكلام كان يتسرب إلى نفسها كما الماء في الرمال، كانت كل كلمة تدق مسماراً آخر في ناقوسها حتى كادت تغوص إلى أعمق أعماق اليأس. جودي غاردنر خطيبة كارلوس، ، لهذا هو مصمم على انجاح شركته، فعليه أن يتقدم الى الفتاة وهو ندٌّ لها. أجبرت افريل نفسها على

البقاء هادئة، لكن الهدوء لم يجعلها تنكر ما سمعته، أو تقفل عقلها عن تحليل ذاك الاضطراب الذي بدا عليها عند رؤيتها هذه المرأة، فان تجاهل لقاء كهذا يتطلب رجلاً دون مشاعر. فهل هناك أسوأ من ان يرى الرجل حماته المستقبلية وهو برفقة امرأة أخرى ما هي إلا امرأة تعرف إليها في رحلة بروميللي. فتاة من طراز راوول بروميللي، هذه الفكرة جعلت العرق يقطر من جبينها لذا سارعت بيد مرتجفة الى مسحه.

قالت السيدة غاردنر باهتمام :

ـ أنت مريضة. . اجلسي وسأحضر لك شراباً.

فهمست افريل :

ـ لا أريد شيئاً، أفضل البقاء وحيدة.

أغمضت عينيها ، أبقتهما مغلقتين تماماً الى ان سمعت الباب يغلق. وعادت الى طبيعتها رغم يقينها من استحالة العودة الى ما كانت عليه سابقاً أبداً.

فقد تحطم عالمها، وذهبت آمالها معه.

٦ ـ تخافه أكثر، تحبه أكثر

لم تكن افريل تعتبر نفسها ممثلة ناجحة، إذ طالما كررت أمها ذاك القول :

ـ يستطيع المرء قراءة أفكار افريل من خلال النظر الى وجهها.

لكن لو شهدتها أمها هذه الليلة لنفت كلماتها الأخرى. ابتسمت لنفسها في المرآة ثم غادرت غرفة السيدات، عائدة الى قاعة اللعب الضخمة.

تلك الليلة لم تذكر شيئاً مما قالته او فعلته، لكنها على ما يبدو تصرفت تصرفاً طبيعياً اذ لم يلحظ لها اضطراب، وبدا كارلوس أهدأ من المعتاد مسروراً بالمحادثة التي جرت.

صعدت الى متن الميسترال وهي تشعر بأنها راجعة الى بيتها فهنا على الأقل يمكنها الالتجاء الى غرفتها لتستسلم الى أحزانها دون ان يلاحظها أحد. كانت تحس ان اليخت ليس ملاذها وهي لن يهدأ بالها قبل مغادرته، عندها قررت توضيب ثيابها لتترك هذا اليخت وراءها عندما ينام جميعهم. كانت مفلسة لا تملك شيئاً من المال لأن كاترين قالت إنها لن تحتاجه، لكنها ولله الحمد، ما زالت تحمل تذكرة الطائرة للعودة الى بلادها، عليها الآن الوصول الى المطار لتنتظر الرحلة القادمة. يا لها من نهاية تعسة لأحلامها التي تعلقت بها، لكنها لا تلوم كارلوس على هذا، فقد أتت الى هذه الرحلة بإرادتها، ولقد ساعدها. . كما ساعدته. . للتخلص من وضع صعب محرج. وهي لن تلومه أبداً لأنه وجدها جذابة. فمن الغباء ان تتجاهل قوة جمالها الذي كانت لأسابيع خلت لا تشعر بنفوذه،

www.elromancia.com

وكم آلمها ان تجد جمالها هذا لا يؤمن لها السعادة بل يسبب لها آلاماً عميقة، لم تعاني مثلها منذ وفاة والدها.

قال راوول عندما وصلوا الى سطح اليخت :

ـ ما رأيكم بقليل من الشراب؟

أجابه أمادو وهو يمسك بيد ماريا :

ـ أنا لا أريده.

أما كاترين فقالت :

ـ ولا أنا. . لأنني تعبة.

عندها نظر راو الى كارلوس سائلاً :

ـ لم يبق غيرك وغير افريل.

فردّت افريل بسرعة :

ـ أنا متعبة جداً.

فقال راو بحزم :

ـ إذاً يجب ان تشفق انت علي يا كارلوس. إضف الى ان الوقتَ قد حان لبدء الحديث عن أعمالنا.

قال كارلوس بسهولة وبرود :

ـ في أي وقت تشاء.

ـ اذاً أحضر العقد الى غرفتي وسنتحدث عنه، فربما وقعناه.

نظر راو الى ساعته :

ـ الساعة الواحدة، في الثالث عشر من آب. . رقم ثلاثة عشر هو رقمي المفضل، أجل. . هيا احضر العقد.

اتجه الى غرفته، فجذب كارلوس افريل الى جانبه وهمس :

ـ يبدو ان هذا هو اليوم الموعود.

كان يحاول اخفاء الاثارة، لكنها كانت واضحة في كل جسده.

ـ أتمنى هذا.

وحاولت ان تستدير لتبتعد، فأمسك بيدها :

ـ هل أنت بخير يا افريل؟ أنت هادئة جداً.

ـ لديّ صداع.

ـ أنت واثقة ان هذا هو السبب الوحيد؟

نظر الى وجهها متفحصاً، وعندما لم يلاحظ أي تغيير فيه، ظهر الرضى على وجهه :

ـ إذاً نامي جيداً يا حبيبتي. . سأراك عند الصباح.

كانت تقف أمام خزانة الثياب عندما أحست بدوران المحركات، فهرعت الى الكوة تصرخ برعب، فوجدت اليخت يتحرك ببطء مبتعداً عن الميناء، أسرعت الى سطح المركب فرأت أضواء الساحل تخبو أمام الضباب الذي لفّ البحر وان شاباً لا يزال واقفاً أمام مخرج اليخت المقفل. ينظر اليها بفضول فقالت :

ـ لم أكن أدري أننا سنغادر الميناء.

وكم أسعدها ان يفهم قولها إذ أجابها بالانكليزية :

ـ سنتوقف بعد قليل يا آنسة. . لأن السيد بروميللي يحب الابتعاد عن المراكب الأخرى.

ـ أريد ان انزل الى الشاطىء.

ـ يستحيل الآن، انتظري حتى الغد.

ـ لا استطيع، أليس هناك من يستطيع إيصالي الى الشاطىء؟

ـ اسألي السيد بروميللي فان وافق أوصلتك الى الشاطىء.

ـ لا أستطيع سؤاله. . لأنني لا أريد ان يعرف أحد بأمر ذهابي.

ـ ان لم اعط الاذن من السيد بروميللي فلن اقدر على أخذك.

ـ لكنني لا استطيع البقاء هنا! أليس هناك من يستطيع مساعدتي؟ أرجوك. . . سأدفع لك، لدي بضعة جنيهات، وعدة آلاف من الليرات خذها. . .

www.elromancia.com

ـ ان دفعت مئة جنيه إنكليزي آخذك. سأخسر وظيفتي إذا عرف السيد بروميللي انني ساعدتك، ان اردت الذهاب فلن آخذك ان لم تدفعي.

ـ لكنني لا أملك مئة جنيه، أو ما يقاربها، أرجوك الأمر مهم جداً.

أدار البحار ظهره لها، وبصق من فوق الحاجز، فعلمت ان من العبث إقناعه لذا عادت الى غرفتها باكية.

لم تعرف كم مضى عليها من وقت وهي على هذه الحال ؛ فجأة شعرت بتوقف المحركات، مسحت عينيها وتقدمت نحو الكوة، كان اليخت راسياً بعيداً في البحر حيث بدا الخط الساحلي معلماً في الأفق، يصعب الوصول إليه سباحة، تساءلت عندما خلعت ثيابها عن فائدة خلعها ما دامت عاجزة عن النوم، فالمجلات المنتشرة فوق الطاولة قد تنهيها خلال دقائق معدودة، والقصة التي كانت تقرأها في الصباح أخذها كارلوس الذي ما زال مع راو في غرفته. فلم لا تذهب الى غرفته لإحضار القصة؟ لم تعط نفسها فرصة للتفكير بل قصدت غرفته حيث وجدت نوراً خفيفاً منبعثاً من الباب أدارت مقبض الباب مترددة كارهة التحرك، لكنها عندما سمعت وقع أقدام، أسرعت بالدخول مغلقة الباب وراءها. تأملت الغرفة حولها، كان الفراش الكبير قد انقلبت اغطيته ولمعت الشراشف الحريرية المشمشية اللون تحت نور المصباح الى جانب السرير، أسرعت لتبحث عن كتابها بسرعة فكان ان اوقعت حركتها بعض الاغراض الموجودة على الطاولة فانحنت لتعيدها الى مكانها، كان هناك دفتر ملاحظات جلدي، وقلم ذهبي، ومشبك ذهبي للنقود يحتوي على كثير من الاوراق المالية. فوضعتها مكانها وتحركت مبتعدة، ثم توقفت ، واستدارت لتنظر الى المال، الذي يساوي أكثر

من مئة جنيه، خفق قلبها، إنه ثمن حريتها ! لو ان المال هذا لها لاستطاعت ان تغادر اليخت وتهرب من كارلوس، ولكنها لا تستطيع ان تأخذ شيئاً ليس لها. لكن لِمَ لا تستعير؟

نعم تستطيع ان تستعيرها ثم تعيدها له عندما تصل الى لندن، ومع ذلك ترددت، كانت يداها ترتجفان فوق الاوراق النقدية، فهي بين نارين نار خطورة هذا العمل ونار الخجل الذي تشعر به منذ حدثتها السيدة غاردنر، لكن خجلها تغلب على خوفها، فأخذت المال لتعد منه ما يكفيها، وأصابعها ترتجف لكنها عندما سمعت وقع خطوات، قررت ان تأخذها كلها، أخذت النقود، ومشت على أطراف أصابعها، فتحت الباب، فلم تسمع سوى همس الريح. خرجت مسرعة وهي تغلق الباب وراءها لتسرع عائدة الى غرفتها.

عندما وصلت داخل غرفتها، أدركت فظاعة عملها فشعرت بالذنب لأول مرة في حياتها لذا قررت ان تكتب رسالة قصيرة الى كارلوس تشرح له فيها سبب أخذها المال وتعده بان ترسل اليه شيكاً بالمبلغ ما ان تصل الى وطنها. تقدمت من الطاولة لتكتب رسالتها الا أنها عادت فرأت ان من الافضل رؤية ذاك البحار أولاً.

أسرعت الى السطح الأعلى لليخت، فلم تجد أحداً لذا أخذت تسير فوق السطح تفكر بوسيلة تمكنها من الوصول الى الشاطىء وبينما هي كذلك واذ بها تصطدم بذاك البحار الذي تحدثت اليه سابقاً فسألته دون ان تتحقق من وجهه :

ـ لديّ المال هل تستطيع إنزالي الى الشاطىء الآن؟

تردد قليلاً، فأمسكت ذراعه قائلة :

ـ لقد وعدتني. . إنك تستطيع ان توصلني وتعود في أقل من ساعة. فلا تخف اذ لن يعلم أحد بالأمر.

ـ حسناً. . ولكن عليّ إنزال القارب أولاً، انتظري في غرفتك

حتى أجيء إليك.

حضرت جواز سفرها وارتدت حذاءاً سميكاً، وقررت ان لا تعطي المال للبحار الى ان تصبح فوق البر، خبأت المال في أسفل حقيبة يدها، وغطته بمنديل وأشياء أخرى، ثم حملت قلماً لتكتب رسالتها لكن ما ان فعلت حتى فتح باب غرفتها بعنف. كان كارلوس واقفاً على عتبة الباب وعيناه تبرقان بغضب، تحدجانها بقسوة تنتقلان من ثوبها الأسود الى حقيبتها التي تحملها بيدها.

ـ إلى أين تذهبين؟

ـ سأغادر اليخت.

ـ هذا ما أخبرت عنه.

ـ ومن أخبرك؟

ـ البحار الذي اعتقد أنني يجب ان اعرف ما يجري.

ـ لم له الحق ان يقول لك !

ـ ولم يكن يظن ان من حقه السكوت !

صفق كارلوس الباب واستند اليه، ساداً طريقها.

ـ أرجوك دعني أذهب.

ـ لماذا؟ ظننت أنك ستبقين حتى نهاية الرحلة بعد ان اصبحنا صديقين.

صديقان ! يا لها من كلمة مزجت السخرية بالتهكم، أردف قائلاً :

ـ كنت سأزورك على كل حال.

رأى الذعر في وجهها فقال بمرارة :

ـ ليس للسبب الذي تظنينه، بل لأقول لك ان راو قد وقع العقد.

ـ هذا رائع ! انا سعيدة من أجلك.

ـ لماذا سرقت المال؟ أكنت تظنين انني لن أفتقده بسبب ثرائي؟

ـ أي. . أي مال؟

ـ أنت تعرفين جيداً المال الذي أقصده، لقد ارتبت بك كثيراً لكنني لم احسبك سارقة !

ـ أنا لست سارقة !

ـ إذاً لماذا سرقت مالي؟ ولا تحاولي النكران، لقد رآك البحار، وأنت تدخلين غرفتي فراقبك من الكوة.

أمسك كارلوس بكتفيها وهزها بعنف :

ـ أنت لست سوى سارقة حقيرة !

ـ أنا لست كذلك ! لقد أخذت المال لأنني. . .

ـ ها انت تعترفين. . .

ـ بالطبع، لأنها الطريقة الوحيدة التي تخولني الهرب، لقد طلب مني ذاك البحار مئة جنيه ليوصلني الى الشاطىء.

ـ أنت كاذبة !

ـ لا. . إنها الحقيقة. أراد مئة جنيه. . . اسأله !

ـ لقد اخبرني انه وافق على طلب نقلك الى الشاطىء فانتظرك على السطح، حيث رآك تدخلين غرفتي.

ـ انه يكذب، لقد طلب مني مالاً ليوصلني لذلك أخذت هذا المبلغ، كان يجب ان اذهب لأنني لا استطيع البقاء هنا.

ـ ولِمَ لا تستطيعين؟ ما الذي بدل رأيك؟ أما عدت قادرة على صحبتي؟ أم ان فرصة سرقة بعض المال أغرتك؟

ـ لأجل السماء. . . أتعتقد انني قد اشوه سمعتي ولو من اجل ألف جنيه؟

ـ قد تشوهين سمعتك من أجل فستان جديد ! لا تتظاهري بعكس ذلك، أتعلمين ان الفرق بينك وبين كاترين هو صدقها مع

www.elromancia.com

نفسها.

هزها من جديد، ويداه تغرزان في جسدها.

ـ أنت كاذبة مخادعة، ترغبين في قضاء وقت ممتع دون ان تدفعي ثمناً له، لقد خدعتني، كنت أبلهاً عندما صدقتك. والآن ماذا تخططين بعد؟ أتريدين رؤيتي عالقاً بأذيال ثوبك حتى تحصلي على أشياء أخرى؟ أم انك قررت ان الانتظار غير مجد، وان عليك ان تأخذي ما تستطيعين أخذه قبل ان تهربي؟

ـ أنت مخطىء. . أنت لا تفهم!

دفعها عنه دفعة عنيفة أوقعتها فوق السرير مع حقيبتها التي تناولها قالباً محتوياتها فوق السجادة، فتناثر المال تحت قدميه.

ـ أمخطىء أنا؟

التقط المال ثم رماه:

ـ خذيه يا افريل، فانت تستحقينه أجرة خدماتك وتمثيليتك هذا الاسبوع!

ـ كنت أريدها للبحار. . كنت سأكتب لك رسالة. . . صدقني أنني استقرضتها.

قفزت واقفة وأسرعت تضرب صدره بيديها، اللتين أمسكهما، عندها أدركت غلطتها فكارلوس كان محمر الوجه لا من الغضب فحسب إنما من الشرب أيضاً. حاولت ان تبتعد عنه، لكنها لم تستطع الحراك لأن ذراعيه أمسكتاها بإحكام بينما قدحت عيناه شرراً.

ـ لا أصدق كلمة مما تقولينه، أنت سارقة وغبية! فلو كنت أكثر صبراً لحصلت على أكثر من مئة جنيه.

ـ لا أريد أكثر من هذا منك.

قالت هذا صائحة وحاولت التخلص من قبضته:

ـ اتركني!

ـ لن اتركك الآن، لأنني لم انته بعد منك، بل لم أبدأ بعد.

ـ اتركني يا كارلوس. . أنت ثمل.

ـ كنت أحتفل بتوقيع العقد مع راوول، ولا اعتقد انك تستكثرين عليّ هذا الأمر. لقد استكثرتِ عليّ الكثير يا افريل الجميلة، ويجب ان تفهمي لماذا شربت.

ـ بالطبع أفهمك. . ولكن على الأقل حاول ان تفهمني. . أنا لم اسرق مالك يا كارلوس. . كنت سأستقرضه فقط.

ـ أنت تكذبين بشكل رائع وجميل. . ولكن كل ما تفعلينه جميل، لقد وضعتك في برج عالٍ وأنا احسبك طاهرة عفيفة حتى خفت لمسك وكم كنت غبياً، أليس كذلك؟ ولكنك لن تستطيعي خداعي بعد الآن، لأن تحت هذا الشعر الذهبي يقبع عقل حسابي صغير. . . صغير لأنه لم يفكر بما كان قد يحصل عليه لو تريثت قليلاً، عقل غبي همه سرقة بعض الجنيهات.

وصرخت به:

ـ لا !. . اسمعني يا كارلوس.

ـ لقد انتهيت من الاستماع اليك!

ضمها إليه بشراسة وهو يضغط على ضلوعها بذراعيه حتى كاد يسحقها أما هي فقد قاومته بشراسة لم تزده إلا اشتعالاً وتأججاً فإذا بقبضته تكاد تقطع أنفاسها.

ـ كان عليّ ان افعل هذا منذ زمن طويل. .

امتدت يداه ليمسك بوجهها ثم برقبتها، كان يهمهم بتوحش كحيوان مفترس جعل خوفها يتصاعد أكثر فأكثر، اذ لن تستطيع التصرف وهو ثمل هكذا.

ـ اتركني!

حاولت الابتعاد عنه بكل قوتها، فتمزق ثوبها، وحدّق اليها بشراسة :

ـ لن اتركك، ستبقين معي.

ثم مد يده جاذباً شعرها بقوة، الى ان اصبح وجهها على بعد إنش واحد من وجهه، كانت تشعر انها على وشك الوقوع لكنها حاولت منع نفسها دون جدوى، وحاولت مرة أخرى، لكنها لم تقدر على الحراك، فصرخت خائفة. فقال لها وهو يلهث :

ـ استمري في المقاومة، فهذا يزيدني إثارة.

ـ لا . . أنت ثمل ولا تعرف ماذا تفعل . . وسوف تندم !

ـ سأندم اذا لم افعل !

أمسكت يدها برقبتها، مرتعدة خائفة من ان يقتلها من الغضب دون ان يشعر، فراحت عيناها تتوسلانه ليتركها، لكنه لم يأبه بتوسلاتها لذا ضاعفت مقاومتها في سبيل الخلاص من يديه القاسيتين، فأخذت تخربشه وترفسه بكل ما أوتيت من قوة حتى تمزق ثوبها الذي لم تعد تكترث به ؛ اذ ما يهمها الآن ألا تستسلم لكارلوس، أبعدته عنها أخيراً بقوة ما ظنت يوماً أنها تمتلكها، وسارعت الى الطرف الآخر من السرير آملة الوصول الى الباب لتطلب العون والخلاص قبل ان يمسكها، لكنه كان اسرع منها، وما ان أمسكت بمقبض الباب حتى امسكها بخصرها ليجذبها اليه ثانية.

انزلقت قدماها، فتطوحت ذراعاها في الهواء، وعندما حاولت التثبت بشيء ما امسكت يدها بفازة زهور كانت على الطاولة ودون ان تدرك ما تفعل أهوت يدها على رأسه بالفازة التي رآها قبل ان تصل اليه، فأمسك بها غاضباً وانتزعها منها.

ـ اذاً ستلعبين دور الصعبة المنال !

وبدأ يهزها بعنف، فقاومته كقطة برية، غارزة أظافرها في جلده

مادة أصابعها الى حنجرته، فصرخ عدة مرات من الألم دون ان تستطيع الفكاك منه، فحاولت للمرة الأخيرة مدّ أظافرها الى عينيه فكان ان صرخ من الألم والغضب مبعداً إياها عنه بعنف، فرأت نفسها تطير في الهواء، وهو يسارع الى التقاطها لكن رأسها صدم الجدار، فأحست بالخدر في رأسها وكتفيها.

ـ افريل !

صرخ كارلوس واسرع عبر الغرفة لينحني فوقها، ويداه ترتجفان وهو يحاول رفعها عن الأرض. ولكن المعركة التي خاضها معها، وما احتساه من شراب، كانا قد استنفذا كل قوته فوقع على ركبتيه الى جانبها.

فتدحرجت مبتعدة عنه دون وعي، فلامست يدها الفازة التي كانت قد تدحرجت على الأرض، وأمسكتها مرة أخرى، وقبل ان يستطيع منعها هذه المرة حطمتها فوق رأسه.

تأوه، ثم انهار، فوق السجادة، حاولت افريل الوقوف، ولكن ساقاها لم تستجيبا لها، وبدأت الغرفة تدور بها بعنف والسقف يتهاوى فوقها. . وتجمع الغثيان في حنجرتها، وأغمضت عينيها. وهي تشعر بالخدر يزداد وينتشر في كل جسدها. ففكرت. . قد نموت معاً. . وألقت رأسها فوق الأرض، غير عابئة بأنها ما زالت قريبة من الرجل الذي تخافه أكثر من أي شيء، الرجل الذي تحبه أكثر من أي شيء.

٧ ـ اتركني بسلام

ما ان استيقظت من اغماءتها حتى شعرت بذراع تلفها وتثبتها مكانها. لكن لِمَ تثبتها؟ فتحت عينيها ولما شاهدت الوجه النحيل الأسمر المستلقي الى جانبها، التقطت انفاسها، ماذا يفعل كارلوس هنا؟ لماذا هما ممددان على الأرض؟ ما ان راودتها هذه الأسئلة حتى تذكرت كل شيء. فتراجعت مبتعدة عنه بسرعة سببت لها ألماً شديداً في صدغها وجانب رأسها، حتى كادت تصرخ من الألم، لكن ذعرها من ان يراها جائية قربه دفعها الى الوقوف استعداداً للهرب، قبل ان تذهب نظرت الى رقبة كارلوس حيث الدم الجاف عليها يشير الى إصابتها الهدف.

بعد ذلك توجهت الى الخزانة لتخرج أول فستان وقع في يدها، ثم دخلت الحمام حيث صدمها منظرها الاشعث في المرآة، كانت شاحبة مليئة الوجه بالكدمات السوداء القبيحة. غسلت وجهها ثم سرّحت شعرها الذي جعلها تدرك ان اصابتها شديدة، فالمشط سبب لها ألماً امتد الى رقبتها حتى تمسكت بطرف المغسلة بانتظار ان يخف ألمها. بعدئذ تابعت ترتيب نفسها لئلا يراها أحد على هذه الحال البائسة فيمنعها من مغادرة اليخت. أما مشكلتها الأخرى وهي الوصول الى السفينة فستحلها باستخدامها مال كارلوس، مشت على أطراف أصابعها في الغرفة حيث ما زال كارلوس ممدداً دون حراك تغطي وجهه الخدوش.

فتحت الباب مرتعدة، ثم خطت خارجاً الى الممر الضيق، صاعدة السلم الى آخر السطح حيث وجدت رجالاً ينظفونه، أخذوا

ينظرون اليها دهشين لكنها شعرت بالسرور لأن البحار الشاب الذي تكلمت معه بالأمس لم يكن موجوداً. قالت موجهة الكلام لهم :

ـ أريد الذهاب الى الشاطىء.

نظر اليها البحارة دون ان يفهموا ما قالته، فتقدمت الى طرف الحاجز وأخذت تشير بيدها الى الشاطىء، وسرعان ما ابتسم أحدهم مشيراً اليها ان تتبعه الى الطرف الآخر من السطح. عندما شاهدته ينزل قارباً الى البحر خف توترها لكنها خشيت ان يوقظ المركب أحد النائمين إلا ان ذلك لم يحدث.

أشار البحار الى جانب اليخت حيث شاهدت سلماً من الحبال ممدوداً نحو المياه، كانت تشعر بخوف شديد كاد يمنعها من متابعة خطة الهرب، لكن خوفها من كارلوس كان أشد وأقوى لذلك تشجعت قليلاً فنزلت متأرجحة فوق سلم الحبال حتى وصلت الى القارب حيث ينتظرها البحار ليمسك يدها المهتزة.

خلال لحظات كانا على بعد ياردات عن اليخت، عندها فقط اطمأنت افريل متمنية الوصول الى انكلترا قبل ان تنهار. . وأشار البحار الى خلفها فاستدارت لترى أنوار الميناء تقترب، فراقبته وهو يرمي الحبل ويربطه في حلقة مثبتة في جدار الرصيف، وما ان وصلت الى البر حتى بحثت عن مال تنقده للبحار الذي قال بانكليزية ضعيفة :

ـ لا تعطيني المال. .

وقبل ان يتابع قوله أشار الى وجهه ليظهر انه لاحظ كدمات وجهها، واحمر وجهها، عندما تأكدت من انه قد عرف ما جرى لها في الليلة الماضية.

راقبته وهو يفك الحبل ثانية، ليتجه بالقارب عائداً من حيث أتى. كان عليها الآن دراسة ما حدث معها. بموضوعية بعيداً عن

التفكير بكارلوس الذي لم يعد اطلاقاً جزءاً من عالمها او مستقبلها.

مضت لحظات وهي تسير على غير هدى، حتى عاد الألم الى رأسها قوياً فكاد يمنعها من متابعة طريقها، لكن الشمس كانت قد بدأت تشرق مظهرة لها طريقاً، تمر فيها السيارات، وعندما لم تشاهد أي أثر للمواصلات العامة. ادركت ان عليها ان تسير نحو البلدة.

عندما بلغت ضواحي البلدة، كانت قد فقدت كل احساس بالوقت. لكنها ذعرت لما عرفت ان النهار يوشك ان ينتصف اذ قد يتبعها أحدهم الى هنا، فكان ان حثت خطاها مسرعة.

وما ان وصلت الى شارع رئيسي، حتى شاهدت باصاً، يقف عند الزاوية، فاسرعت اليه رامية نفسها على مقعد من مقاعده غير عابئة باتجاهه طالما سيبعدها عن هذا المكان.

سألت السائق : «إلى المطار» فهز رأسه ثم مدّ لها يده طلباً للمال، فوضعت في يده كل ما تملك، ثم انهارت فوق المقعد ببطء مسترخية اذ أحست ان اسوأ ما في هذا اليوم قد انتهى، ولم يعد أمامها الكثير حتى تتغلب على محنتها هذه.

عند وصولها الى لندن، توجهت افريل رأساً الى شقتها التي بدت لها صغيرة حقيرة بالمقارنة مع الترف الذي عاشت فيه خلال الأيام الأخيرة، بعد ان استحمت ارتدت سروالاً وقميصاً، ثم اتصلت بباتريسيا، التي صاحت بها متسائلة :

ـ كنت أظن أنك لا تزالين هائمة مع الاثرياء.

ـ لا. .

لا بد ان لهجتها قد فضحت شيئاً من افكارها، لأن باتريسيا اقترحت عليها فوراً ان تأتي لتناول الغداء معها، قائلة :

ـ أمامي اسبوعان آخران من النقاهة، لذا فأنا اقوم بطهي كل

الأطعمة التي قرأت عنها منذ سنوات. أما اليوم فسأطهو ديكاً محشواً بالأرز يكفي شخصين أو أكثر.

كانت تتوق الى محادثة انسان ما، غير انها كرهت ان يراها احدهم وهي على هذا النحو الفظيع حيث الكدمات تملأ وجهها.

سألتها باتريسيا :

ـ ما خطبك؟ إن لم تأتي إليّ فسأستأجر سيارة كي. .

قاطعتها افريل :

ـ ها أنا قادمة، توقفي الآن عن الضجيج وحضّري الطعام.

كما كانت تتوقع، وجدت الاستديو مقفلاً، ولكنها تقدمت عبر زقاق صغير، ثم ضغطت على الجرس، حيث فتح الباب بشكل آلي بعد ان اعطت الاشارة الخاصة التي لا يعرفها غيرهما هي وباتريسيا، صعدت السلم نحو الأعلى، حيث استقبلتها ربة عملها بطريقتها المعتادة.

وما إن دخلتا الى غرفة الجلوس المضاءة بنور الشمس حتى أدركت افريل أن باتريسيا قد لاحظت الخدوش والكدمات على جانب وجهها ورقبتها، فقالت، محاولة الهدوء :

ـ لقد أوذيت. .

ـ كيف حدث هذا؟

ـ سأخبرك فيما بعد. . أما الآن فأنا بحاجة الى القهوة.

كانتا تتحدثان وهما تحتسيان القهوة بدون تركيز لكن توتر افريل أخذ يخف تدريجياً حتى أحسّت ان الحواجز التي جعلتها تتردد أصبحت الآن أقل وطأة وأنها قد تسرد ما حدث معها بعد لحظات غير بعيدة. كان ذاك الذي أصابها صعب التصديق حتى تصورت انه وليد خيالها المحموم، لكن تلك الكدمات المنتشرة والدوار الذي يلفها بين الحين والآخر كانا حقيقة لا وهماً.

صبّت باتريسيا القهوة ثانية، ثم حدّقت اليها مفكرة :

ـ تخلي عن ترددك واخبريني القصة كاملة. . ماذا حدث لك يا افريل؟

بللت افريل شفتيها، ثم بدأت تسرد القصة :

ـ الرحلة لم تكن. . كانت مختلفة عما قالته كاترين.

ـ لقد حذرتك.

ـ أعلم، وكم كنت غبية لأنني لم انصت الى قولك، ولكنني اعتقدت ان لكاترين . .

ـ أخلاق قطة زقاقية.

تنهدت افريل :

ـ علمت الحقيقة بعد ساعات من وجودي على اليخت.

ـ ولماذا لم تتركيه فوراً؟

ـ الاختطاف ليس حصراً على فارس يعتلي صهوة حصانٍ أبيض !

ـ أتعنين ان بروميللي لم يتركك؟

هزت افريل رأسها، وأخذت تسرد القصة من بداية تعارفها الى كارلوس الى الاتفاق الذي عقدته معه بغية ذر الرماد في عيني بروميللي، وهذا ما جعل باتريسيا تصيح بدهشة :

ـ سمعت عن فتيات يقاتلن دفاعاً عن طهارتهن، لا عن طهارة رجل ! اعتقد انك قد وقعت في حبه وانه قد عرض عليك شقة فاخرة لتكوني عشيقته.

ـ بل أسوأ من هذا.

ـ وما هو الأسوأ؟

ملأت باتريسيا فنجاني القهوة بصمت والفضول يرتسم ارتساماً على وجهها دون ان تظهره اطلاقاً.

بللت افريل شفتيها، لتتابع سرد الجزء الأصعب الذي تشك في قدرتها على التلفظ به، ولما حاولت الكلام ثانية وجدت نفسها عاجزة لذا شدت يديها المرتجفتين معاً لتجبر نفسها على التفكير بشيء آخر، مخافة أن تنفجر باكية إن داومت على التفكير بالأمر، فقالت باتريسيا :

ـ أعتقد انك أقمت علاقة معه؟

ـ لقد حاول . . . إجباري.

ـ ماذا فعل؟

ـ كان ثملاً، فبعد ان حصل على العقد الذي يريده احتفل مع راو، وعندما اكتشف اختفاء ماله.

ـ أي مال؟ أنت غير واضحة يا افريل. . ابدأي ثانية.

تابعت افريل سرد القصة بكلمات متقطعة حيناً متكررة أخرى حتى أنهتها كاملة.

عندما انتهت، ساد الغرفة صمت لم تقطعه سوى الأصوات الصادرة من الشارع في الأسفل، قالت باتريسيا في النهاية :

ـ يجب ان تنسي كارلوس بريوري، إنه خنزير.

ـ لا اعتقد ذلك، فلو لم يكن ثملاً لما تصرف تصرفاً كهذا.

ـ لو أن كل سكران يحاول فرض نفسه على أول امرأة يشاهدها. . .

ـ الأمر ليس هكذا، لقد كنا معاً لاسبوعين، وكان معجباً بي.

ـ إذاً دافعي عنه اذا كان هذا يريحك، إنما اياك وخداع نفسك بأن لك مستقبلاً معه.

ـ أنا لا أخدع نفسي، كما انني لا أريد رؤيته ثانية !

وقفت افريل على قدميها.

ـ أريد ان اترك لندن، فهو يعرف بأنني أعمل لديك، وإن أردت

البدء من جديد، يجب ان انتقل من هنا.

- وهل تظنين بانه سيأتي ليفتش عنك؟

- أنا واثقة من انه سيرغب في الاعتذار، فبعد ان يستيقظ سيدرك ما حدث. . وهو لن يهدأ له بال قبل ان يجدني. . .

- إذاً رحيلك عن لندن هو الحل الأمثل. إنما الى أين ستذهبين إن كنت لا تريدين العودة الى قريتك.

- سأسافر الى فندق بيلتون في لورك واي حيث تعمل جدتي التي طلبت مني مراراً المجيء إليها حيث ستؤمن لي عملاً.

- هذا جيد فانت أقله ستعملين بين العديد من الناس حيث لن يتسنى لك وقت للضجر.

عندما وقفت افريل بحدة عن الطاولة، أصابها ألم شديد في الرأس لذا تمسكت بطرف الطاولة لتعود الى الجلوس في كرسيها. فقالت باتريسيا :

- الأفضل ان تستشيري طبيباً، بل من الأفضل ان انقلك الى المستشفى كي يُصوّر رأسك الذي ربما أصيب إصابة خطيرة.

- إنها صدمة بسيطة ستزول بعد ان آوي الى الراحة.

- ولكنني ما زلت أظن. . .

- أرجوك باتريسيا لا تجادليني.

بعد ذلك وقفت بحذر متوجهة الى النافذة حيث راحت تتأمل الشارع.

- إذا حضر كارلوس بحثاً عني، انفي انك تعرفين مكان وجودي.

- سأقول له إنك ذهبت الى القمر، وسأكون مسرورة لو لحق بك الى هناك !

في الاسبوع التالي، تمنت افريل ان تكون كلمات باتريسيا حقيقية، فليتها تعيش في كوكب آخر لكي تنسى كارلوس.

طالعتها يوماً صورة وجهه في الجريدة التي نقلت خبر الصفقة التي عقدها مع راو فخبر كهذا اعتبرته الجريدة أمراً هاماً على صعيد ناقلات النفط.

حاولت التفكير بالأيام الممتعة التي قضياها معاً بعيداً عن ذلك الحادث المشؤوم، منتظرة خبر خطوبته الذي ربما يجعلها تلغيه من قلبها وعقلها، لكن ذاك الخبر لم يذكر حتى الآن في الجرائد رغم تلك الصورة التي اظهرته مع جودي غاردنر في عيد ميلادها الحادي والعشرين.

غرقت افريل في عملها الجديد، الذي أمنته لها جدتها في فندق «بيلتون» ولكن الجدة انتقلت الى عمل آخر في فندق اسكتلندي.

- سأحب الوظيفة هناك أكثر لو أتيت معي الى اسكتلندا. فما رأيك؟

ولكن قبل ان تغير افريل رأيها، كان المدير قد عرض عليها وظيفة مضيفة استقبال في الفندق، أتاحت لها فرصة كافية للاستقرار. لكنها وعدت جدتها بالتفكير بموضوع الذهاب الى اسكتلندا.

مرت الاسابيع بطيئة وهي تقوم بعملها خير قيام، وغالباً ما كانت تدعى للانضمام الى الضيوف الذين كانت تتعامل معهم مباشرة، لكنها رفضت الكثير من دعواتهم خشية ان يجرها ذلك الى علاقة ودية معهم.

كان الخريف هناك جميلاً حيث السماء والبحر زرقاوين، وكان الفندق الذي يبدو منتجعاً على البحر مكتظاً بالناس الذين يقضون إجازاتهم الصيفية المتأخرة، وهذا ما أبقاها في عمل دائم حتى دفع إحدى موظفات الاستقبال، ليزا جونس إلى أن تقول :

ـ لو نحفت أكثر لاختفيت من الوجود.
ردت عليها افريل وهي تكذب :
ـ أنا عادة أخسر الكثير من وزني خلال الصيف.
ـ اذاً ادعي ربك ليحل البرد باكراً.
ـ أنت غيورة لأنك لست كعود الفاصوليا !
ملّست ليزا جونس ثوبها فوق خصرها العريض ضاحكة :
ـ هل قابلت سميناً لم يكن ظريف الروح خفيف الظل.
توقفت ليزا قليلاً ثم اردفت قائلة : أنت تعملين حتى وقت متأخر من الليل.
ـ ليس لديّ ما افعله في وقت راحتي.
ـ اذاً يجب ان تتوقفي عن رفض دعوات العشاء.
ـ أنا لا اهتم بالرجال.
ـ ألا ترغبين في الزواج؟
ـ لا.
كانت لهجة افريل حادة، الى درجة منعت ليزا من متابعة الموضوع :
ـ هذه لائحة الضيوف الجدد الذين سيصلون يوم الاثنين.
ـ ثمة فريق تصوير حجز لثمانية عارضات ولمصفف شعر ومصورة.
ـ آه. . كم سيسببون من فوضى؟ أتذكرين فريق الأزياء الذي قلب الفندق رأساً على عقب في المرة الماضية؟
ـ إن وجدت صعوبة في التعاطي معهم اتصلي بي لأنني أعرف كيفية التصرف مع العارضات !
عند الحادية عشرة من صباح اليوم التالي وصل الضيوف الجدد الذين سلمتهم المفاتيح بعد ان دونت طلباتهم الخاصة على دفترها.

كانت افريل مشغولة بتسجيل كل هذا فلم تلاحظ الفتاة التي وقفت أمامها والتي صاحت بحدة :
ـ افريل ! انت هنا إذاً !
التفتت افريل لترى كاترين امامها فقالت :
ـ مرحبا. . تسعدني رؤيتك.
فقالت كاترين بصراحة :
ـ لا تبدو عليك السعادة، الم تعلمي بوصولي؟ انا احدى عارضات الفريق.
ـ كان الحجز لفريق كامل خال من الاسماء.
حدقت اليها كاترين بعينين قاسيتين :
ـ متى تنتهين من عملك؟
ـ ليس قبل وقت متأخر، انا اعمل طوال اليوم.
ـ انا واثقة ان بامكانك ايجاد بعض الوقت للتحدث معي. فانا اموت شوقاً لأعرف سبب هرويك من اليخت.
ـ الم يشرح لكم كارلوس السبب؟
ـ لقد انغلق على نفسه كما الصدفة.
تقدم منهما شاب وقال لكاترين :
ـ تعالي الآن. . ليس الآن وقت الثرثرة انما وقت العمل، اريد ان التقط بعض الصور قبل المغيب.
عند العاشرة من ذلك المساء غادرت افريل مركز الاستعلامات قاصدة غرفتها، لكنها التقت بكاترين التي حيّتها قائلة :
ـ تعالي لنشرب القهوة.
وجدت افريل انه من الافضل الموافقة على طلبها لئلا تزعجها اكثر، فعاجلاً ام آجلاً يتوجب عليها التحدث مع الفتاة.
ـ يجب عليك اخباري عن سبب هرويك.

ـ اظن انني قلت لك مسبقاً. . لقد ضجرت.

ـ لم يكن يبدو عليك الضجر، لقد ظننا جميعا انك وكارلو تمضيان وقتا ممتعا.

ـ المظاهر خادعة.

ـ لن تقنعيني بأنه لم يعجبك.

ـ بالطبع اعجبني، لقد كان فاتناً ومسلياً، لكن لم يكن بيننا شيء مشترك.

ـ هيا. . قولي عذراً آخر. كارلو وسيم وثري بينما انت فقيرة وجميلة. فاذا لم يعطك هذا قاسماً مشتركاً، فلست ادري ما هو المطلوب!

ـ لست ادري ماذا تقصدين.

ـ كان كارلو مجنونا بك. . . لو احسنت اختيار اوراقك.

ـ لم اكن اريد اللعب!

قالت افريل هذه الكلمات ثم هبت واقفة غير عابئة بهذه المرأة التي تزعجها كثيراً بل هي الى الآن لم تسامحها على ذاك العمل لذا قالت بجفاء: أنا ذاهبة الى النوم، عمت مساء.

ـ لا تتركيني هكذا، اضجر من البقاء وحيدة.

ـ أين الآخرون؟

ـ انهم يلعبون كرة الطاولة. .

ـ متى رجعت الى منزلك؟

ـ في نهاية آب، لم يكن هناك فرصة لاطالة العطلة، فقد كان عليه العودة الى روما، وهكذا انتهى الامر.

ـ ألا يزعجك عدم رؤيته ثانية قبل اسابيع؟.

ـ سأراه الشهر القادم، انه قادم الى انكلترا ليزور حوض بناء السفن الخاص بكارلوس. اعتقد ان السبب الوحيد الذي جعل

كارلوس يشترك بالرحلة هو العقد لانه يختلف كل الاختلاف عن راو.

- ايختلف حقاً؟

- انت تعرفين جيداً انه ليس من طراز راو الصقلي الجلف الذي يسيّر نفسه حسب مزاجه، بينما كارلو لورد صغير على وشك الافلاس! لكنه الآن لم يعد مفلسا بل عاد لينضم الى صفوف اصحاب الملايين، كما اعتقد ان زواجه من جودي غاردنر قد يضاعف ماله.

التقطت افريل انفاسها خفية. ولكنها شاهدت نظرة الانتصار على وجه كاترين لقد ارادت متعمدة أن تؤلمها.

ـ لم أكن اعلم أنه قد تزوج. . إذ لم أقرأ الخبر في الصحف.

ـ لم يتزوجها بعد. . بسبب والدته المريضة وأعتقد أنه لن يتزوج قبل أن تصبح قادرة على حضور الزفاف فهو ولد مخلص. وإن كان الاولاد المخلصون يتحولون إلى أزواج مخلصين، فستكون جودي فتاة محظوظة. . لو كنت مكانك، لقبلت بكارلوس بريوري على علاته إنه وسيم، قاسي المظهر. . الا يروق لك أبداً يا أفريل؟

ـ لا تروقني القساوة أبداً.

ـ إذاً، فهو يعجبك؟ حسناً. . أنت تعرفينه أكثر مني.

ـ لو قلت لك إنني لا أعرفه فهل ستصدقينني؟

ـ أصدق كل شيء تقولينه يا حبيبتي، كما أصدق باتريسيا التي اخبرتني أنك قد سافرت للعناية بعمتك المريضة.

ـ إنها تقصد جدتي المريضة التي كانت تعمل هنا فمن أجلها وحدها انتقلت إلى عملي هذا، أضيفي إلى ذلك رغبتي في ترك لندن.

بعد أن ضاق صدرها من هذه المرأة تحركت مبتعدة عنها وهي

تقول :

ـ سأراك فيما بعد يا كاترين.

ـ بالتأكيد وإذا لم تأتي إلي فسأفتش عنك !

وصلت إلى غرفتها التي تذرعها جيئة وذهابا. مفكرة بما قالته كاترين. هل صحيح أن مرض أمه هو السبب الوحيد لتأخير إعلان خطوبته من جودي؟ ولماذا لم يتصل بها بعد أن هربت من اليخت؟ بل لماذا لم يكتب لها رسالة عن طريق باتريسيا؟ لعله ما زال يعدها سارقة.

استلقت على الفراش وقد عاودتها الدوخة والغثيان، وكانت هذه المرة الثانية التي تشعر بها هذا الاسبوع. فتساءلت عما إذا كانت مريضة، ليزا على حق، إذ يجب أن تأكل جيداً لئلا تنهار كما يجب أن تحيا حياتها بسعادة من جديد فلا يمكن لاسبوعين أن يقلبا حياتها من السعادة إلى الشقاء وصاحت :

ـ اتركني بسلام يا كارلوس. . ! توقف عن ملاحقتي واتركني وشأني بسلام !

٨ ـ نظارة وردية

تمكنت أفريل من تجنب كاترين أثناء إقامتها في الفندق. وعندما حلّ موعد سفرها شعرت بالسعادة.

ذهب ايلول، واقبل تشرين الاول، حاملاً معه أعباء مكتب الإدارة إضافة إلى أعباء مكتب الاستعلامات. قال لها السيد موريسون مدير الفندق :

ـ أمامك مستقبل زاهر في هذا الفندق يا آنسة كاربنتر لأننا جزء من سلسلة فنادق، يمكنك الانتقال إلى أي منها متى شئت ذلك.

ـ انا سعيدة بالعمل هنا. ولا أرغب في الانتقال خارجا.

ـ هذا أمر غير عادي بالنسبة لفتاة شابة لكنك في الوقت نفسه فتاة غير عادية تملك عقلا راجحاً وشخصية مستقلة. وهذا ما توقعته كونك حفيدة السيدة هافر.

شرعت افريل بتعلم طريقة ادارة الفندق، متبعة بذلك نصيحة مديرها، كان هذا الفندق الكبير عالماً بحد ذاته مترامي المسؤوليات التي تبدأ ولا تنتهي، فهناك الغسيل وتحضير الطعام، وهناك مراقبة الموظفين التي تعد المشكلة الأكبر إذ يتطلب ملاحقة دائمة وصبر كبير، أضف الى ذلك كله ضرورة التحدث باللغات الأوروبية.

دخل أحد الموظفين إلى مكتبها ليخبرها ان أحدهم ينتظرها في مكتب الاستعلامات، فوقفت أمام مرآة الحائط ترتب شعرها، شدت حزام فستانها الحريري الأسود، ثم سارت نحو مكتب الاستقبال. حيث لم تجد أحداً بانتظارها، وعندما أوشكت على العودة الى مكتبها تراءى لها من خلال واجهة المحل طيف رجل لم تكن مستعدة

www.elromancia.com

لرؤيته لذا تسمرت مكانها ونبضات قلبها تضج في أذنيها، وشعرت بجسمها يقشعر، ماذا يفعل كارلوس هنا؟ هل أتى صدفة أم متعمداً!

وأجابت كلماته عن سؤالها :

ـ وأخيراً وجدتك.

ـ لم أكن أعلم أنك تبحث عني.

ـ كنت أبحث عنك منذ تركت اليخت. . لن نستطيع الكلام هنا. . . متى ستكونين حرة؟

علمت ان من غير المجدي التهرب منه، فاستدارت حول مكتب الاستعلامات وخرجت الى مدخل الفندق قائلة :

ـ يمكننا التحدث في الخارج.

سارت أمامه الى الحديقة باتجاه الشجيرات الوارفة الظلال الواقعة على بعد مئة يارد من الفندق. كانت تشعر بالتعب بسبب حرارة الطقس، لكنها تجاهلته، جلست فوق مقعد خشبي وهي تقول بحدة :

ـ أرجوك ان تسرع. فلدي عمل أود العودة اليه.

ـ لا أدري من أين أبدأ، لقد راجعت ما سأقوله مئات المرات، وها أنا ذا الآن لا أجد كلمة منها. ليتني قادر على إعادة الزمن لأمحو ذاك التصرف الحيواني الذي تصرفته. أعلم أن شيئاً لن يغير الواقع، لكن أيمكنك مسامحتي؟

ـ أنا أحاول نسيان الأمر! لكنني لست متأكدة من قدرتي على الغفران أو المسامحة وقتها كنت ثملاً وأنا قد اعتبر ذلك عذراً.

ـ أنا مستعد لإعادة العقد الى راوول إذا كان سيمحو ما حدث.

آه لو تعرفين مدى احتقاري وكرهي لذاتي. أنا ما زلت أفكر بالاسبوع الرائع الذي قضيناه معاً، وبالأشياء التي قلناها لبعضنا. . .

ـ لم تكن تعني شيئاً!

ـ بل كانت تعني أشياء كثيرة بالنسبة إليّ.

شعرت بالغثيان لما قاله إذ كيف يمكنه هذا القول وهو يوشك على الزواج من فتاة أخرى.

ـ قد لا يسعد جودي قولك هذا!

ـ ومن سيوصله اليها؟

استدارت اليه غاضبة :

ـ ألا تشعر بالذنب تجاهها؟

ـ نعم قليلاً. .

ـ قليلاً؟ يا لك من انسان حقير لا يقنع بتدمير حياة فتاة واحدة بل يسعى الى تدمير حياة أخرى.

ـ ولِمَ سيدمر ما بيننا حياة جودي؟

ـ اذا كنت لا تعرف الاجابة عن هذا السؤال، فأنا ايضاً غير قادرة على الاجابة عنه.

تحركت لتذهب، فوقف في طريقها.

ـ افريل. . انتظري. . لم انهي كلامي بعد. . بحثت عنك أسابيع.

ـ وكيف وجدتني؟

ـ كاترين اخبرتني عن مكان وجودك. بعد تلك الحادثة عدت رأساً الى لندن قاصداً الاستديو، لكنني لم استطع اللحاق بك في اليوم الذي غادرت فيه، لأننا لم ندرك غيابك الا بعد ان ابتعدنا أميالاً عن الشاطىء.

ـ لكن الاستديو مغلق.

ـ اعلم ذلك. لقد بقيت يوماً كاملاً في البحث حتى عرفت مسكن ربة عملك التي رفضت ان تدلني الى مكانك، ولم تقتصر

على ذلك بل رفضت ان تسلمك اي رسالة مني، ومع ذلك اصريت على ملاحقتها حتى رأيت يوم أمس كاترين وهي تخبرها عن مشاهدتها إياك فسعيت الى كاترين استنطقها إلى أن اعطتني العنوان.

ـ كم انت مثابر !

تجاهل سخريتها متابعاً :

ـ لم يكن من حقك الهرب دون اعطائي فرصة للاعتذار. . او للتوسل اليك لمسامحتي.

ـ وهل تظن ان اعتذارك سيحسن حالي؟

ـ بل سيحسن حالي.

ـ كل ما يهمك ان تريح ضميرك، يدهشني عدم احضارك شيكاتك التي يتخذها امثالك وسيلة للتعويض على فتاة مثلي.

ـ اتعتقدين انني قدمت الى هنا لأدفع لك تعويضاً؟

ـ أنا لا اريد شيئاً منك يا كارلوس. لا اعتذارك ولا مالك. تستطيع العودة الى لندن مرتاح الضمير، مطمئن البال، فكما قلت لك، لقد انتهى الأمر !

قال بهدوء :

ـ لكنه لم يُنسَ.

بدت الكلمات دليل خوفه منها، لذا زادت مرارتها :

ـ لا تقلق يا كارلوس. . سأحصل على صديق ينسيني ما جرى !

ـ أكان لديك اصدقاء كثيرون قبلي.

ـ وهل صدقت حقاً أنني فتاة بريئة؟

شحب وجهه من جراء كلماتها. . كانت تتمنى الارتماء بين ذراعيه الرحبتين معترفة بأن ما قالته كذباً، وبأنه حبيبها الأول بل

ربما الأخير. لكن الكبرياء الذي دفعها الى الكذب ابقاها صامتة.

اردفت قائلة والبسمة الساخرة تعلو وجهها :

ـ يؤسفني انك اهدرت وقتك على هذه الرحلة يا كارلوس، لكنك على الأقل أرحت ضميرك من ذاك الثقل. عد الى لندن لتعنى بمستقبلك الذي لابد ان يكون ناجحاً.

ـ سأسعى الى ذلك بكل تأكيد، فبعد ان كدت اقفل الحوض قبل ستة أشهر مضت أجد ان العقد مع بروميللي والاندماج مع شركة غاردنر قد لا تعوضان ثانية.

كانت كلماته طعنة نجلاء وقعت في صميم قلبها.

ـ ما علمت انك تسعى الى الاندماج مع شركة غاردنر، لكنني احسبك سعيداً به.

ـ لكن ذلك قد لا يحدث لأنني احب الاستقلال في عملي، كما اعتقد ان مستقبلي لا يهمك.

ـ بل يهمني الى حد ما، لكنني اعدك ألا أكلّم اصدقائي عنك.

استدار على عقبيه دون ان يقول كلمة واحدة، بينما ارتفع صدى خطواته على الممر، لتختفي بعد ذلك، أما هي فوجدت صعوبة في اللحاق به او في مواجهة اي كان لذا جلست على المقعد الخشبي مختبئة تحت الاشجار.

عندما تمالكت نفسها قصدت الفندق وهي تفكر بالانتقال من هذا المكان بعد ان عرفه كارلوس لأن ذلك سيجعلها غير مستقرة او مطمئنة. ومع انها تكره فكرة البحث عن عمل جديد إلا أن للضرورة أحكامها، لذا عليها البحث عن قرية اخرى تستطيع الالتجاء اليها مبعدة نفسها عن العالم بعداً تاماً حيث لا تقرأ جريدة ولا تستمع الى الراديو، ولا تعرف شيئاً عن حياة كارلوس او جودي.

عاودها الدوار ببطء في البداية، فأملت الوصول الى الفندق قبل الوقوع أرضاً. لكنه أخذ يزداد أكثر فأكثر حتى كادت تتقيأ. كان العرق يتصبب من كل مسام جسدها، والرؤية تتشوش رويداً رويداً، لذلك بحثت عن مقعد تقعد فيه وعندما لم تجد شيئاً تحركت عشواء العينين حتى كادت ان تقع لولا ان امسكتها يدان قويتان.

قال لها بصوت هادىء :

ـ هاي. . أمن عادتك الاصطدام بالآخرين؟

اغمضت عينيها ثم فتحتهما لتزيل الغشاوة عنهما، فشاهدت رجلاً متوسط القامة عريض المنكبين، وشعرت بالدماء تضج بأذنيها، وبيد تساعدها على اجتياز عدة ياردات الى مقعد خشبي، لتجلس عليه، سألها الصوت :

ـ هل تريدين شيئاً تشربينه؟

ـ لا. . شكراً لك. . سأكون. . بخير. . . بعد لحظات.

أحست باصابعه تمسك برسغها، فحاولت ان تجذبها منه فقال :

ـ أحاول جس نبضك، فانا طبيب.

زال عنها خوفها فاسترخت على المقعد. بعد ذلك سمعته يردف قائلاً :

ـ جئت لأحضر مؤتمر طبي. . انا فرنسوا بلير، وانت تعملين في مكتب الاستقبال، أليس كذلك؟ لقد حاولت دعوتك مراراً الى شرب القهوة، لكنك كنت دائمة الانشغال.

ـ أعمالي كثيرة.

ـ اعتقد ان الامر هو انشغال داخلي على الأكثر.

حدقت اليه، ولكن النظرة في عينيه البنيتين كانت بريئة، لذا ابتسمت قائلة، وهي تقف :

ـ يجب ان اعود الى عملي.

حركتها جلبت لها المزيد من الدوار. فشهقت وأدارت وجهها. ودون كلمة اعادها الى المقعد، فجلست وعيناها مغمضتان.

ـ يجب ان تذهبي فوراً الى غرفتك لتنامي.

ـ لا اعتقدني قادرة على الوصول الى هناك. غرفتي في البناء الملحق بالفندق.

ـ إذاً تعالي معي. . فالجلوس هنا لن يفيدك.

جذبها لتقف، ثم اسندها وتقدم بها نحو الفندق ودخل باباً يصل الى فناء داخلي جانبي.

ـ ثمة مصعد هنا يتصل بالطابق الأول مباشرة فلنستخدمه لنتجنب السير داخل الفندق.

وصلا الى آخر الممر بعد ان نزلا من المصعد، ثم سمعت مفتاحاً يدور في قفل الباب، ودخلا الى غرفة نوم واسعة فقالت :

ـ هذه ليست غرفتي.

ـ انها غرفتي. استريحي لأحضر لك دواء.

جلست على المقعد لأنها لم تستطع الاحتجاج، وعندما عاد بعد قليل سمعته يقول :

ـ اشربي هذا!

ـ ما هو؟

ـ سم. . هيا اشربي أيتها الفتاة الطيبة.

أحست بغبائها، فازدردت السائل المرير، ثم ارخت رأسها على ظهر المقعد، وعندما خفت دوختها شيئاً فشيئاً فتحت عينيها المغمضتين فرأته يراقبها.

ـ أشعر بتحسن. . شكراً لك.

ـ لا تقلقي الآن.

ـ ولكنني أثناء الدوام.

ـ فليستلم احدهم مهامك لأنني اتصحك بالنوم.
ـ أظنك على حق. . سأتكلم مع احد الموظفين.
ـ هل تصابين دوماً بهذه النوبات؟
ـ منذ شهرين تقريباً.
ـ يجب ان تخضعي الى فحوصات عامة. وانصحك ان تستفيدي من وجود كل الأطباء هنا.
ـ لقد استفدت منك !
بدا صادق اللهجة لذا احست بالدفء تجاهه. وسألته :
ـ هل انت اخصائي؟
ـ إنني طبيب صحة عادي !
ـ لست عادياً.
ـ شكراً على هذا الاطراء.
ـ بل انني اعني ما اقول.
وقفت ببطء لئلا تصاب بدوار آخر ثم سارت نحو الباب قائلة :
ـ اشعر بانني اهتز. . هل السبب يا ترى طعام مسموم.
ـ لا اظن هذا، هل عاودك الدوار مجدداً، يستحسن ان اصطحبك الى غرفتك.
أرخت ثقلها عليه دون خوف عندما التفت ذراعه حول خصرها وكم سرتها مساعدته ! بعد ان عاد العرق الى التصبب وضعت رأسها على كتفه. لكن سوء طالعها جعل كارلوس يشاهدها على هذه الصورة اثناء خروجه من غرفته، فكان ان تراجع شاهقاً بحدة وعندما التفتت اليه رأت الغضب يشتعل في عينيه فقالت :
ـ كارلوس. . أنا. .
لكنه تجاهلها مكملاً سيره. عندئذ سألها الدكتور بلير :
ـ هل هو صديقك؟

أجابت بمرارة «تقريباً» ثم تابعت سيرها في الممر.
في الصباح شعرت افريل بتحسن ملموس. ولولا تفكيرها بكارلوس، لكانت تمتعت بهذا اليوم الذي ادفأته أشعة الشمس. قرر منظمو المؤتمر الطبي ان يعقدوا آخر جلسة لهم على الشرفة الكبيرة. وبما ان الوقت كان وقت فراغ لها، جلست تستمع مسرورة لأن الدكتور بلير القى احدى الخطب.
علقت قائلة وهي تبتسم عندما تقدم منها محيياً بعد انتهاء محاضرته :
ـ اعتقدت انك قلت انك طبيب صحة عادي؟
ـ فعلاً. . ولكنني اكتشفت أشياء مهمة حول داء الشقيقة.
ـ لقد كانت اكثر من مهمة. . لقد اقتنعت بها.
ـ لكنك لست طبيبة ! كيف اصبحت اليوم؟
ـ افضل حالاً اشكر عونك اياي.
ـ إذاً ما رأيك بدعوة الى الغداء؟
ـ لا اعلم إن كانت الادارة تسمح لموظفيها بأن يتناولوا الطعام في مطعم الفندق.
ـ إذا اعترضوا، قولي إني رفضت اعتذارك.
ترددت قليلاً ثم قبلت. فقد كانت تنوي ترك العمل هنا على كل الاحوال.
وللمرة الأولى منذ وقوعها في حب كارلوس وجدت افريل نفسها تتجاوب مع رجل آخر. لا لأنها تعتبره رجلاً عادياً انما لأنه طبيب شعرت بالراحة والاطمئنان اثناء تفحصه لائحة الطعام التي اختار منها اللحم والبطاطا المقلية.
فضحكت قائلة :
ـ كنت اعلم انك رجل يحب اللحم والبطاطا.

www.elromancia.com

ـ وانت مثل كعكة التفاح مع جوز الهند.

ضحك عندما لاحظ دهشتها ثم اضاف :

ـ استطيع تغيير هذا الى يخنة ايرلندية اذا احببت !

ـ انا لست يخنة ولا كعكة تفاح، انا فتاة سريعة الغضب فكيف لك ان تصفني بكعكة التفاح، لو وصفتني بكعكة الشيطان لأجدت الوصف اكثر وسيؤيد هذا الوصف شخص اعرفه.

ـ لا يمكن ان يشبهك احدهم بالشيطان.

ما ان وضع الطعام امامهما، حتى بدأ يسألها بعض الاسئلة الخاصة فأجابت على اسئلته متجنبة تلك التي تكشف له الكثير. ولكنها اضطرت ان تذكر له رحلتها البحرية بعد ان شكك في انها اكتسبت لونها البرونزي في انكلترا. لكنه عندما علم انها كانت على يخت راوول بروميللي نظر اليها دهشاً. فسارعت القول :

ـ السيد بروميللي ليس من صنفي. . لقد تلقيت دعوة للذهاب في هذه الرحلة من احدى العارضات التي كانت تعمل مع السيدة بالمر.

ـ وهل استمتعت برحلتك مع المجتمع الراقي؟

ـ لم يكن مجتمعاً راقياً انما مجتمع حقير.

ـ اتصفينه على هذا النحو بسبب العربدة؟

ـ ليس تماماً. . . كانت رحلة غير اخلاقية. . . انت تعرف ما اعني.

ـ لا ضرر في هذا.

ـ ألا تظن ان الزواج ضروري؟

ـ نعم الزواج ضروري، ولكن العديد من شبان اليوم يرون عكس ذلك، ولا تنسي انني طبيب كسر نظارته الوردية بشأن الدنيا، اما انت فما زلت تضعينها على عينيك.

ـ تجعل الامر يبدو سيئاً.

ـ يجب ان تنظري إلى الحياة بواقعية.

ـ لكل منا وجهات نظر مختلفة حول الاخلاقيات.

ـ هناك اشياء أساسية يجب ان نحاول جميعاً رؤيتها بالطريقة نفسها.

ـ وهل تحاول القول ان اخلاق راو بروميللي من الاشياء المبدئية؟

ـ وما هو مبدأي اكثر من رغبة رجل في فتاة جميلة ! واذا لم يكن متزوجاً وكانت هي راغبة، فمن نحن إذاً لنحكم على اخلاقها؟

ـ انت متحرر اكثر مما تصورتك.

ـ لأنك انت متزمتة. لا يجب احتقار فتيات مثل كاترين، انما يجب ان نتفهمهن.

ـ لم تحدثني عن زوجتك واطفالك.

ـ ليس لدي زوجة او اولاد، فانا ارمل. . توفيت زوجتي منذ اثنتي عشرة سنة وماذا عنك؟ هل تنوين البقاء في العمل الفندقي الى ان تتزوجي؟

ـ انا لا افكر بالزواج. . لكنني افكر بترك العمل هنا.

ـ اعتقد انك قد اشتقت للندن.

ـ لا انوي العودة الى هناك. . اريد فقط الابتعاد عن هذا المكان.

ـ انا بحاجة الى موظفة استقبال. . الموظفة عندي تريد ان تتقاعد.

ـ وكيف تعلم انني جيدة؟

ـ بالبديهة. . فكري بالامر يا افريل، انت معتادة على حياة القرى، وستجدين الناس هناك ودودين. وبإمكانك العيش في منزلي اذا شئت، فالسيدة اشباي تعيش هناك. .

www.elromancia.com

ـ تعيش معك وحدها؟
ـ انها في الثانية والستين. . تثق بي ! كذلك لدي مدبرة منزل.
ضحكت افريل وعلمت ان كلماته هذه وضعتها عند حدها :
ـ لطف منك ان تعرض العمل عليّ. ولكنني لا استطيع تخيل نفسي في قرية في «والش».
ـ إذاً اعلميني عندما تغيرين رأيك.
اخذ بطاقة من جيبه ثم اعطاها اياها.
ـ ما هو عنوانك الدائم؟
ـ ليس لدي عنوان دائم. . ولكن بامكانك الاتصال بي عبر استديو السيدة بالمر. .
انتهى طعام الغداء، وسار فرنسوا بلير معها الى مكتب الاستعلامات حيث ودعها. لقد انتهى المؤتمر صباحاً، وسيعود الى بلده بعد الظهر.
ـ عرضي ما زال قائماً، اذا غيرت رأيك. . او اذا احتجت الى المساعدة، فلا ترددي بالاتصال بي.
ـ وهل تعرض المساعدة على اشخاص تتعرف اليهم لوقت قصير؟
ـ لا. . لكنك لست فتاة عادية !
لوح لها بيده، وكم كانت دهشتها عندما شعرت بالحزن لفراقه فقد بدا وكأنها فقدت صديقاً عزيزاً.

٩ ـ داء دون دواء

بعد اسبوع من رؤيتها كارلوس اخبرت افريل السيد مورسون انها قد قررت الرحيل، فلم يعترض على ذلك لان الفندق في مثل هذا الوقت لا يكون مكتظاً، ولن يصبح كذلك قبل شهرين من الآن.
عندما وصلت الى لندن وعدت باتريسيا بالاقامة معها الى ان تجد عملاً آخر في جزء آخر من البلاد.
في الصباح التالي، كانت باتريسيا تعمل في الغرفة المظلمة، بينما السكرتيرة الجديدة تقوم بمهام عملها الذي طالما اعتبرته افريل عملها الخاص، خرجت افريل لتقابل طبيبها، الدكتور جونز الذي قد قابلته بضع مرات منذ ان قدمت للعيش في لندن، وبما ان والديه كانا من قريتها فقد تذكرها سريعاً، قال لها :
ـ سأصف لك اقراص الحديد التي ستصيبك بالغثيان، لذا عليك الخلود الى الراحة.
ـ اذا شعرت بالغثيان فلن استطيع مغادرة الفراش !
ـ وهل في الامر ما يضير؟
ـ لا طبعاً.
ـ اخلعي ثوبك لأفحصك.
بعد قليل بينما هو جالس الى مقعده قبالتها، اقترح عليها بهدوء ان تذهب فوراً الى المستشفى لتصور رأسها بالاشعة، وقال :
ـ كيف حدثت تلك السقطة التي ذكرتها؟
ـ انا. . انا. . آه. . لقد انزلقت واصطدمت بالجدار، لكنني لم

اصب بارتجاج.

ـ هل فقدت وعيك حينها؟

ـ لقد نمت. . ما مدى اصابتي؟

ـ لست واثقاً الآن، يجب ان أرى صور الأشعة لأشخص العلة.

بعد ان صورت رأسها خلال ساعتين شعرت بانه لم يعُف من التصوير جزءٌ من رأسها او تنفيها. انتظرت نتيجة الصور كما طلبوا منها، لكنها دهشت عندما اتاها شاب يخبرها ان عليها اجراء المزيد من الفحوصات.

ـ يجب ان تتم الفحوصات فوراً لذا لا بد من مكوثك في المستشفى بضعة ايام.

هزت رأسها موافقة والخوف قد شرع يدب في قلبها ليزداد أكثر عند انتهاء نتيجة الفحوصات التي بينت لها ان هذه الضربة كانت سبباً في تمدد أوعية المخ الدموية. وعندما سألت الطبيب عن هذا المرض قال :

ـ انه جلطة دموية سببها ضعف في احد الشرايين، بعض الناس يولد هذا الضعف معهم دون ان يبرز. الى ان يتعرضوا الى حادث ما او ضربة او أي شي من هذا القبيل حيث يضعف الشريان محدثاً تخثراً للدم قد يتوقف في موقع ما من الدماغ. بحيث يتجمع الدم حوله كنوع من الدفاع. وهذا ما حدث في حالتك.

ـ أتعني ان لدي جلطة دم في دماغي؟

ـ نعم، لهذا كان يصيبك هذا الصداع المؤلم يرافقه الدوار.

ـ وماذا سأفعل. . ثمة علاج؟

ـ العملية هي الطريقة الوحيدة لإزالة الجلطة. . ولكن في حالتك حيث الاصابة في مكان عميق في الدماغ، هناك اخطار جمة.

توقعت افريل ان تزداد الاخبار سوءاً لذا هيأت نفسها منتظرة حكم الطبيب الذي اردف قائلاً :

ـ قد تكون ازالة الجلطة سبباً في انتقال الاذى الى اجزاء اخرى من دماغك الامر الذي سيؤثر على ذاكرتك، او على أشياء اخرى نجهلها لذا لابد من ان تجري فحوصات اخرى في مستشفى مجهزة بالوسائل المطلوبة لاجراء الفحوصات، هذا اذا كنت تريدين السفر الى لندن.

ـ قد اذهب الى القطب الجنوبي إن استدعى الامر.

ـ المكان اقرب من القطب الجنوبي. انه على بعد اميال من «بونتي بول» في «ويلز».

ـ كم ستستمر مدة العلاج؟

ـ انه ليس علاجاً، انما فحوصات، اما العلاج فيتم اذا كانت الفحوصات ايجابية.

ـ وان لم تكن كذلك؟ فماذا سأفعل؟

ـ لا شي، فاذا كانت الجلطة غير قابلة للاستئصال، فسنضطر الى تركها في مكانها.

ـ وماذا سيحدث عند ذلك؟ ارجوك قل لي الحقيقة. . اريد ان اعرف.

ـ عندها ستواجهين خطر انقسام الجلطة، التي ستحدث تخثرات قد تصيبك بالعمى او الشلل.

منعها الرعب من الكلام، فربت الدكتور على ذراعها قائلاً :

ـ لا تنظري الى الجانب المظلم فقط انسة كارينتر، فقد تنقلب الامور الى افضل مما نعتقد.

كررت باتريسيا الكلمات نفسها، بعد ظهر ذلك اليوم عندما سمعت القصة.

www.elromancia.com

ـ لا تخافي يا عزيزتي فالطب في ايامنا يفعل المعجزات، اما الآن فعليك السفر الى «بونتي بول»، هل تعلمين كم ستدوم هذه الفحوصات؟

ـ حوالي اسبوع، استطيع الذهاب متى شئت الى الاخصائي هناك.

ـ فليكن الذهاب غداً، لن اسمح بان تهدري اي وقت.

كانت الفحوصات أكثر تعقيداً مما تصورت، كان بعضها مؤلماً لكنها لم تأبه بأي شيء بانتظار النتيجة الا ان ما ساءها ان الاطباء ما كانوا يبدون رأيهم بشأنها، انما اكتفوا باشارات مبهمة ذاكرين ان عليهم اكمال ملفها قبل اصدارهم قرار ما.

في عطلة هذا الاسبوع الذي مر بطيئاً، لم تجر الفحوصات فبدا لها ذلك هدراً للوقت، بينما هي تنتظر بيأس معرفة مصيرها. بعد ظهر الاثنين، تقدم من سريرها جراح ومساعده فاسدلا الستائر حولها، نذير انباء سيئة مقبلة. قال الجراح :

ـ الجلطة في اسوأ مكان من الدماغ لذا ليس بمقدورنا اجراء أية عملية لئلا تسبب لك اضراراً أخرى.

ـ لكن مصيراً أسوأ بانتظاري ان لم تُجر العملية !

ـ قد تبقى الجلطة على حالها سنوات، فلِمَ لا ننتظر قليلاً اذ قد يكتشف الطب طريقة جديدة قد تساعد على شفائك.

لم تصدق ما قاله الطبيب، لكنها تقبلت كلماته التي ارادت تخفيف وطأة الصدمة والذعر.

ـ إذاً، ما علي سوى العودة الى لندن، اذ لا فائدة ترجى من بقائي هنا.

ـ الافضل ان تعيشي في مكان قريب من هنا. . حتى اذا ما ساء صداعك كنا. . .

ـ سأعود عندها لاجراء فحوصات اخرى.

ـ بل عليك البقاء على مقربة من المستشفى اذ قد يصيبك تغيير فجائي، والوقت في مثل حالتك هام جداً، لانه كلما اسرعنا في التصدي للخطر كلما كانت النتيجة افضل.

قدرت اسباب قلقه، وتساءلت ماذا سيقول لو قالت له انها لا تريد البقاء ولو ادى الامر الى موتها فهي ترفض العيش كانسان عاجز. قالت اخيراً :

ـ سأفكر بالانتقال الى هنا وعندما افعل اعلم المستشفى.

عادت الى لندن، كانت مترددة باخبار باتريسيا الحقيقة. ولكنها كانت تجد صعوبة في الكذب، وبعد عدة محاولات لإخفاء الامر اخبرتها القصة كاملة، فقالت باتريسيا على الفور :

ـ يجب عليك العيش قرب المستشفى، اكره فكرة تركك هناك وحدك، واذا استطعت نقل الاستديو الى هناك فسأذهب معك على الفور.

قالت لها افريل مازحة :

ـ انا متأكدة ان «بونتي بول» تتحرق شوقاً لمصورة ازياء مثلك.

ـ أنا جادة في ما قلت، اذا استطعت الحصول على عمل آخر فسوف انتقل الى هناك. ولكن هذا سيتطلب تنظيم بعض الامور لكنني ارفض بقائك في لندن لذا عليك العودة الى هناك سريعاً.

ـ يجب ان اجد عملاً. . فلا استطيع العيش من الهواء !

بدت باتريسيا مستغرقة في التفكير للحظات فلم تلبث ان قالت :

ـ ها نحن هنا نناقش بهدوء ما سنفعل، بينما يجب علينا اولاً الاتصال بذلك الخنزير الذي سبب لك هذا الوضع المؤلم.

لم تعي افريل للحظات قول باتريسيا، لكنها عندما فهمت

تصاعد الدم الى وجهها. فقالت بحدة :

ـ لا شأن لهذا بكارلوس.

ـ هو المسؤول، هو من رماك الى الحائط. . انه المسؤول المباشر عما حدث لك.

ـ لا. . لقد قال الطبيب ان الضعف كان موجوداً منذ ان ولدت.

ـ ضعف ما كان ليظهر لولا عمله الحقير.

ـ لا اريده ان يعرف، لانني لن اتحمل شفقته.

ـ ولكنه سيوفر لك معالجة افضل.

ـ لا اصدق هذا. . المستشفى مجهزة خير تجهيز يا باتريسيا، والأطباء سيسعون جاهدين الى معالجتي.

كانت باتريسيا عنيدة، لكنها امام تهديد افريل بالهرب من لندن خضعت لما ارادته افريل.

ـ إن فشل العلاج واصبحت معاقة، اتعتقدين انني قادرة على تحمل شفقته؟

ـ انه المسؤول عما اصابك بغض النظر عن قول ذاك الطبيب لانني لست على يقين من ان ذاك الضعف كان موجوداً عندك. ولكن الشيء المؤكد انه من تسبب بالاذى. . أرجوك يا افريل، اذا كنت لا تريدين رؤيته، اتحدث انا اليه.

هزت افريل رأسها، فتنهدت باتريسيا ولوحت يديها اعلاناً عن الهزيمة.

ـ حسن جداً فلننس الامر. المهم الآن ارسالك الى «بونتي بول».

ـ الله اعلم اي عمل قد اجده هناك.

ـ اتصلي بوكالات العمل لتسألي عن الاعمال المطلوبة، وهي ستزودك بالمعلومات التي تريدينها.

وجدت افريل بعد الاتصال، ان ما حصلت عليه من اجوبة لا

يلتقي مع مطلوبها. فوضعت اعلانا في التايمز تطلب عملا كمدبرة منزل لسيد او سيدة مسنة، ولكنها لم تتلق اي رد من المنطقة التي تريد ان تسكن فيها. واخذت تمزق الرسائل ببؤس، فلا فائدة من مغادرتها لندن اذا لم تجد وظيفة قريبة من المستشفى.

بعد اجتماعها بوكيل اكبر وكالة للاستخدام، عادت الى شقة باتريسيا، وما ان وضعت المفتاح في القفل حتى سمعت اصواتا صادرة من الداخل، وكانت على وشك ان تعود ادراجها عندما فتحت باتريسيا الباب وقالت :

ـ لقد ظننت انني سمعتك. . هيا ادخلي لديك زائر.

ولاحظت الخوف في عيني افريل، فاسرعت تقول هامسة :

ـ ليس كارلوس بريوري. . انه الدكتور بلير.

دخلت افريل وهي تحييه دهشة.

ـ كيف وجدتني؟

ـ اتصلت بفندق بيلتون، فزودوني بالعنوان ولانني قدمت على عجل الى لندن بسبب المؤتمر الجديد لم استطع كتابة رسالة لك.

جلس ثلاثتهم فسألته افريل :

ـ وكم ستبقى في لندن؟

ـ حتى الغد، فلدي زبائني، هل نسيت؟ ومن الصعب التهرب منهم. هل انت مشغولة الليلة، ستتناول العشاء معاً؟

وشملت نظرته باتريسيا، التي هزت رأسها فوراً وقالت :

ـ لا تحسب حسابي يا دكتور، انا مشغولة جداً.

اخفت افريل دهشتها، فحسب ما تعلم كانت تخطط هي وباتريسيا لقضاء السهرة معاً، ولكن تعابير صديقتها منعتها من اي تعليق، فهل رفضت باتريسيا الدعوة لتشجيعها على اقامة علاقة مع الدكتور؟ ولكن هذا امل واه غير مجد لأنها لن تحب رجلاً آخر كما احبت كارلوس كما ان مرضها يمنعها من التفكير بالارتباط بأي انسان.

حدقت ثانية الى باتريسيا فهزت رأسها لتعلمها دون كلمات ان الطبيب قد علم بمرضها، لكنه لم يتطرق اليه الا بعد ان اصبحا جالسين على طاولة العشاء في مطعم فندق «ماي هير».

ـ لم اعتقد انني قد اكون جارتك في ويلز، لكن على ما يبدو انني سازورك قريباً قبل نهاية السنة!

ـ كنت افكر باكثر من ذلك، لِمَ لا تعملين عندي.

ـ لا استطيع، فانت تتعامل مع المرضى طوال الوقت، وآخر شيء قد تريده هو شخص مريض مثلي!

ـ هذا شيء سخيف. انا معتاد على المرضى كوني طبيب، كما انني اريد ان يكون الى جانبك طبيب قادر على العناية بك في الحالات الطارئة.

ـ لا استطيع استغلال طيبتك هذه.

ـ فكري بالأمر يا عزيزتي، فمدبرة منزلي السيدة اشباي، لم تعد صغيرة في السن، وقد تحتاج الى مساعدة في بعض الاوقات، لا تنظري الي كرجل طيب، فانا اعرض عليك هذا لدوافع اخرى.

لم تستطع كبح دموعها، فمسحت عينيها.

ـ انت طيب القلب جداً، فانت لا تعرفني...

ـ انت تذكرينني بزوجتي..

ـ هل كنت سعيداً معها؟

ـ سعيد جداً.

ـ من المؤسف الا تتزوج ثانية.

ـ هذا ما تقوله مريضاتي!

ـ وماذا سيظنون اذا ظهرت في حياتك؟ انا اصغر بكثير من آخر موظفة استقبال كانت عندك.

ـ سندعي بانك صديقة قديمة للعائلة، لنقل انني كنت زميل والدك في المدرسة، ما رأيك؟

ـ لست كبيراً جداً لتكون زميلاً له.

ـ فليباركك الله على هذا القول! إذاً فلنقل ان والدينا كانا صديقين، ما رأيك يا افريل، هل ستأتين معي الى «غارنا فن»؟

هزت رأسها بالايجاب، وهي تعلم انها قد اتخذت افضل قرار لمستقبلها.

كان الوقت لا يزال باكراً عندما اوصلها فرنسوا الى منزلها مصراً ان تدعوه باسمه الاول، ولكنه وافق على ان تناديه بكنيته اثناء ساعات العمل.

عندما وصلا كانت باتريسيا مستيقظة تجلس على ارضية غرفة الجلوس وهي تبحث في كومة من الصور، كان وجهها خالياً من الماكياج، ترتدي سروالاً اسود وكنزة حمراء جعلت بشرتها تلمع وكأنها اللؤلؤ، تحت شعرها الاسود، سألها الدكتور وهو يجلس:

ـ ظننتك ستخرجين؟

ـ لقد قلت انني مشغولة.

ـ كان بامكانك مرافقتنا الى العشاء.

هزت باتريسيا رأسها واستدارت لتنظر الى الصور. كان تصرفها جافاً، غير ودي تقريباً، لكن فرنسوا بدا وكأنه لا يبالي به. خلع معطفه وجلس على مقعد وكأنما نسي انه قال لافريل انه يرغب في النوم باكرا لأنه سيسافر في الصباح الباكر.

ـ ارغب في رؤية بعض صورك.

ـ لم اكن اعلم انك تهتم بالازياء.

ـ سمعت انك تلتقطين انواعا اخرى من الصور.

ونظرت باتريسيا الى فرنسوا ببرود مما ادهش افريل، لانها تعلم ان باتريسيا تحب عرض صورها، ولكنها اخذت ألبوما عن الرف واعطته له بجفاء، وببطء اخذ يتفحص الالبوم وهو يعلق احيانا على بعض الصور التي اعجبته. قال لها بعد ان انتهى:

ـ انت موهوبة جداً فلماذا تهدرين وقتك وموهبتك في تصوير الازياء.

www.elromancia.com

ـ اريد ان آكل.
ـ بالتأكيد تستطيعين. .
توقف عن الكلام وقد بدا عليه الاسف، ثم تابع :
ـ انا آسف يا سيدة بالمر. لكنني املك عادة سيئة هي اقتراح بعض الحلول التي اراها مناسبة.
ردت عليه باتريسيا بسخرية :
ـ لاحظت ذلك. هي عادة حسنة في حالة افريل. . اما بالنسبة لي فانك تضيع وقتك سدى، لانني معتادة على شق طريقي بنفسي يا دكتور بلير.
ـ هذا امر جيد. من الآن وصاعداً سأهتم بشؤوني ! لكنني سابدأ بإخبارك بعض الاشياء عن حياتي الخاصة.
بدأ كلامه، مما جعل باتريسيا وافريل تضحكان لنوادره، فكان ان ارتاحت باتريسيا تدريجياً اليه وعندما وقفت لتقترح ان تعد بعض القهوة، وقفت افريل واعلنت انها ستذهب الى فراشها.
ـ انا تعبة جداً، حتى انني اعجز عن فتح عيني.
وقف فرنسوا قائلاً :
ـ لكننا لم نرتب بعد امر سفرك الى ويلز.
ـ وهل تناسبك بداية الاسبوع المقبل.
ـ سوف آتي لاصطحابك الاحد المقبل اذاً.
ـ لا استطيع ان اتركك تفعل، سوف اذهب بالقطار.
فهز رأسه وقال :
ـ سآتي الى لندن على كل الاحوال، فلِمَ المجادلة؟
تركته افريل يتحدث مع باتريسيا وتوجهت الى غرفتها لتنام، وكانت اصواتهما لا تزال منبعثة من غرفة الجلوس عندما استغرقت في النوم.
في الاسبوع التالي جاء يحمل باقة زهور معه.
ـ سآخذكما معاً الى الغداء.

قال كلماته متجاهلاً احتجاجات باتريسيا منفذاً ما يريد. بعد الغداء عادوا الى الشقة حيث امضى فترة بعد الظهر معهما وعندما حل المساء ساعدهما في تحضير العشاء في المطبخ الصغير. وهو يقول لباتريسيا :
ـ يجب ان تؤلفي كتابا مصوراً عن الطبخ. .
ـ فكرت بذلك، لكنني لم استطع تنفيذه بسبب ضيق الوقت، وقد افعل ذلك بعد ان أتوقف عن العمل وهذا لن يحدث قبل سنوات.
تقدمت افريل لتحضر ابريق الشاي، فادهشتها نظرة الحنان التي ظهرت على وجه فرنسوا، ففكرت بان فرنسوا معجب بباتريسيا لا لانها تشبه زوجته كما الحال معها انما لاسباب مختلفة.
بعد انتهاء العشاء، تظاهرت بالتعب لتنسحب الى غرفتها، حتى تعد نفسها للسفر ظهر اليوم التالي. كانت اثناء اضطجاعها على الفراش تسمع الضحكات والموسيقى المنبعثة من غرفة الجلوس فأحست بالسعادة تغمرها. باتريسيا ناجحة مالياً، لكن حياتها العاطفية فارغة فهي ليست على علاقة جدية مع رجل رغم كثرة صداقاتها. لكن كيف ستستمر صداقة فرنسوا وباتريسيا ما دامت هذه الاخيرة باقية في لندن بينما هو في ويلز؟ وقد لا يكون قدومه الى لندن في نهاية الاسبوع امراً عملياً، كما لا يمكن ان تذهب باتريسيا الى ويلز لرؤيته. ولكن اذا وقع فرنسوا في حب صديقتها فسيجد حلاً. فهو قادر على ان لا يدع مئتي ميل تفصل ما بينه وبين ما يريد. اسعدتها هذه الفكرة فمن الرائع ان يكون مرضها قد قاد شخصين عزيزين على قلبها الى السعادة.

١٠ ـ أقوى من الاقدار

الحياة في «غارنافن» كانت تجربة جديدة لافريل، فغانافن تعتبر اكثر من قرية صغيرة يعرف اهلها بعضهم بعضاً وخلال فترة قصيرة امتدت معرفتها الى هؤلاء الأهالي حتى وجدت نفسها غير قادرة على السير في الطريق دون ان تسمع تحيات حارة منهم.

تقبل الاهالي اقامتها مع فرنسوا دون تحفظات، خاصة وانها ثابرت على الظهور في الكنيسة صباح كل احد لتلتمس الدعاء والصلاة، لكن فرنسوا لم يقنع بذلك لانه اعتقد انها تذهب الى الكنيسة للمحافظة على السمعة الطيبة. وقد قال لها يوماً : هل تعتقدين ان اهل «غارنافن» قد يصدقون انني سأغوي فتاة طاهرة مؤمنة.

انفجرت افريل ضاحكة وهي ترى انها منذ ان قدمت الى منزل هذا الرجل الكريم اللطيف، قد ضحكت اكثر مما ضحكت خلال شهور.

ـ انا سعيدة لانك اقنعتني بهذه الوظيفة، احيانا انسى سبب وجودي الحقيقي هنا.

بدت الجدة عليه وهو يتساءل : «السبب الحقيقي؟».

ـ لا تتظاهر بانك لم تفهمني، انا اعلم انك ما اصررت على هذه الوظيفة الا للعناية بي اذا ما ساءت حالتي او انهرت او. .

ـ افريل. . توقفي عن هذا ! فانت لن تنهاري ولن تسوء حالتك، فقريباً ستجرى لك عملية جراحية وستشفين باذن الله، اذ ظهرت في الاسواق آلة لايزر جديدة قد تكون علاجاً فاعلاً لحالتك. كنت سأخبرك عنها بعد ان اجتمع الى الاخصائي الذي سيستخدمها.

حدقت افريل الى فرنسوا ملياً، وهي غير متأكدة مما اذا كان صادقاً او انه يحاول فقط بعث الامل في قلبها، لكن عينيه اللتين بدتا صادقتين جعلتاها تثق بقوله.

ـ ومتى ستصل الآلة؟

ـ بعد شهر او اكثر، سأعلمك بالامر في حينه، اما الآن فعليك نسيان المرض لئلا تزداد حالتك سوء قبل ان تسنح لنا فرصة شفائك.

بعد مضي شهر، امتلأت الارض بالثلج الذي زين المحلات بلونه الابيض المتناثر. أما العيادة فقد قلّ زائروها لان الناس يهتمون بعيد الميلاد اكثر من اهتمامهم بامراضهم، ولم تدهش افريل عندما سألها فرنسوا اذا كانت ترغب في الذهاب معه الى لندن في نهاية الاسبوع. ومع انها مشتاقة لرؤية باتريسيا، الا انها رفضت، وكم سرها ان تراه يبتعد باكرا صباح السبت آملة ان تعطي تضحيتها أكلها.

بدا المنزل دون فرنسوا موحشاً كئيباً، رغم اتصالات بعض المرضى الذين احالتهم الى طبيب آخر كان قد حل مكانه. اما السيدة اشباي فقد استغلت فرصة غياب فرنسوا لتتسوق بعض الاشياء لنفسها، ولتقضي اليوم مع شقيقتها القاطنة في قرية اخرى على الجانب الآخر للجبل ولم تكن السيدة اشباي لترضى بالذهاب لولا إلحاح افريل الشديد.

بعد الغداء لفت نفسها بوشاح ثم خرجت لتتمشى. . ثم قررت فجأة الذهاب الى البلدة المجاورة. فتقدمت من موقف الباص، ثم صعدت اليه، حيث حيّتها بضع ابتسامات، لكنها جلست على مقعد منفرد واخذت تحدق من النافذة الى الخارج.

عندما وصلت الى «بونت بول» كانت الشوارع مكتظة بالناس، أخذت تتنقل بين المحلات لتشتري هدايا الميلاد، فاختارت لفرنسوا كتاب يتناول الفن وللسيدة اشباي سترة من الصوف وقفازين

ولباتريسيا مشاية من صوف الغنم.

كان الظلام قد حل عندما شقت طريقها نحو محطة الباص، وقبل ان تقطع الشارع امام اشارة المرور شاهدت محلا لبيع الجرائد والتبغ، فقررت شراء بعض الكبريت لاشعال المدفأة، كان المحل الصغير مزدحماً بالناس، فأخذت تحدق الى المجلات المعروضة هناك ثم استدارت الى الجرائد ليطالعها خبر بالخط العريض :

«وارثة فوستر تتزوج من باني سفن شهير»

جف الدم في عروقها، لكنها انحنت مرتجفة لتقرأ المقال «تزوجت جودي فوستر في سرعة كبيرة من. . . » ما تبقى من كلمات تراقصت امام عينيها، فاستدارت راكضة الى الخارج حيث تنشقت الهواء البارد الذي يبرد حرارة جسمها المشتعل، كانت حتى هذه اللحظة تتمنى ان يسعى اليها كارلوس ثانية، فحبها العميق له دفعها الى قليل من الامل، بدت عاجزة عن تحمل هذا النبأ لذا ركضت مسرعة وكأنها تهرب منه مجتازة الشارع دون وعي لكنها عندما انتبهت الى ذلك كانت قد اقبلت نحوها سيارة مسرعة لم تستطع تجاوزها بسبب الضوء الذي اعماها واذا بها ترتفع عالياً في الهواء ثم تهبط الى الارض صارخة. ولم تلبث ان اعتمت الدنيا حولها حتى اصبحت جداراً سميكاً من الظلام الدامس. تأوهت مادة يديها وكانها تحاول ازاحة هذا الجدار، لكن الظلمة اشتدت الى أن غلفتها تماماً.

فتحت افريل عينيها على عالم ابيض، جدران بيضاء، ثياب بيضاء، كان ضوء ابيض يعمي الابصار مسلطاً عليها وكأنه نور الشمس. لكنها لم تكن تشعر بالالم، انما بخدر وخوار شديد جعلها غير قادرة على التركيز على كل شيء، عندما حاولت الجلوس سمعت احدهم يطلب منها الاستلقاء دون حراك.

علمت افريل ان رأسها مغطى بالرباطات، دون ان يقول لها احد ذلك. وان عملية قد اجريت لها. وكان ذلك آخر ما فكرت به قبل

ان تفقد وعيها، واول ما فكرت به عندما عادت الى اليقظة.

عندما فتحت عينيها ثانية وجدت ان الالوان لم تعد بيضاء كلها اذ كان امامها ازهار ملونة وامرأة ترتدي ثوباً ملوناً، تقف قريبة منها.

ـ باتريسيا. . ماذا تفعلين هنا؟

ـ لقد اتيت مع فرنسوا.

ـ ومن اخبرك. . . كيف عرفت؟

ـ اتصلت المستشفى بالسيدة اشباي بعد ان وجدت عنوانك في حقيبة يدك، التي بدورها اتصلت بنا عند منتصف الليل فكان ان وصلنا وجئنا الى هنا في الصباح.

ـ في الصباح؟. . ومتى. . . متى حدث لي هذا؟

ـ منذ اسبوع.

ـ والعملية؟ لقد اجروا لي عملية. . أليس كذلك؟

ـ اجل يا حبيبتي.

ملأت الدموع عينيها وهي تتابع كلامها :

ـ هذا هو الشيء الجيد الوحيد الذي نتج عن الامر كله، فقد اضطر الاطباء لإجراء العملية، ونجحت نجاحاً تاماً.

مدت افريل يديها غير مصدّقة فأمسكتها باتريسيا.

ـ اني اقول الصدق يا افريل فلن اكذب عليك في موضوع كهذا، لقد ارتطم رأسك بالارض بقوة مسبباً لك نزيف داخلي. ولولا اجراء العملية لمت. لقد استحضروا آلة اللايزر التي حدثك عنها فرنسوا بواسطة سيارة بوليس الى هنا، ومن الواضح أنها استخدمت فقط في بعض التجارب. وقرر الاطباء تجربتها عليك ايضاً. اذ لم يكن لديهم خيار آخر.

ـ احمد الله لأنني كنت في غيبوبة اذ كنت سأموت من الخوف.

ضحكت باتريسيا وافريل ضحكاً ممتزجاً بذاك القلق. وحدقت افريل في وجه باتريسيا وهي تسألها :

ـ هل سأكون بخير من الآن فصاعداً؟ ام ان الالم سيعاودني من جديد إن وقعت مرة اخرى.

ـ اقسم لك انك ستكونين في اتم عافية كأي انسان آخر. لقد استعدت حياتك يا حبيبتي.

ضجت الكلمات في اذني افريل بمرارة، فتذكرت سبب حادثتها الذي لم تكن تعرفه باتريسيا. عادت اليها كلمات ذاك العنوان فاغلقت عينيها. ولكن الكلمات ظهرت لها من جديد.

«وارثة فوستر تتزوج من باني سفن شهير»، افلتت منها تأوهة عميقة، وأحست بيدي باتريسيا على ذراعها.

ـ هل انت متألمة يا عزيزتي؟ هل اطلب الممرضة؟

فتحت افريل عينيها بجهد.

ـ لا.. انا بخير.. اجلسي لتحدثيني.

جرت باتريسيا كرسياً لتجلس عليه :

ـ اخبريني.. لماذا ركضت الى وسط الشارع كالمعتوهة؟ لقد قال شاهد عيان بانك رميت نفسك امام سيارة قادمة بسرعة.

ـ لا اذكر شيئاً من ذلك كما انني لا استطيع تناول هذا الموضوع. حدثيني عن نفسك، هل كنت سعيدة لرؤية فرنسوا؟

ـ لقد كنت مسرورة.. انه صديق جيد.

ـ انه يرغب في ان يكون اكثر من صديق.

ـ لا تكوني سخيفة.. انه طبيب مخلص لعمله، وانا امرأة مخلصة لعملي. لسنا سوى سفينتين تلتقيان في احد المرافىء.

قالت افريل بحرارة قبل ان تستطيع ايقاف نفسها.

ـ لا تذهبي في رحلة بحرية معه.

ـ لا تقلقي، من غير المحتمل ان يدعوني لرحلة كهذه.

اغمضت افريل عينيها لتركز افكارها، وبعد فترة لم تعرف مدتها فتحت عينيها لتجد الظلام يلفها من جديد وحدها. بقيت مستلقية لعدة لحظات نصف حالمة. رفعت نفسها عندما دخلت ممرضة تحمل

صينية شاي وبعض الخبز والزبدة، عندها فقط شعرت بالجوع. وكانت على وشك تناول آخر قطعة خبز عندما دخلت باتريسيا :

ـ تبدين افضل بكثير بعد النوم.

ـ اشعر بانني طبيعية. كم سأبقى هنا؟

ـ الافضل ان تسألي فرنسوا. ولكنني اعتقد انك ستبقين هنا مدة اسبوعين.

ـ بقاؤك معي لطف كبير منك يا صديقتي الوحيدة.

ـ وماذا عن فرنسوا؟ اليس صديقك ايضاً ام هو اكثر من صديق؟

ـ يا لسخافتك، انه يعتبرني الجسر الذي يوصله اليك، ألم تفكري بالسبب الذي جعله يذهب الى لندن.

ـ ذهب ليروح عن نفسه، لا اكثر ولا اقل، اعتقد ان مطلق امرأة ذكية قد تناسبه.

ـ لكنه اتصل بك ليتأكد من عدم انشغالك.

ـ سأكون مشغولة عندما يتصل بي ثانية. انا لست مهتمة بالتورط مع اي كان.

ـ لماذا ما دمت معجبة به؟

حدقت اليها لتجد ان اللون قد تصاعد الى وجهها، فسألتها :

ـ الا يعجبك فرنسوا؟

ـ لا بأس به.

ـ اذاً لماذا تدعين الانشغال دائماً كلما اقترح ان يراك؟

ـ لقد طلب هذا مرة واحدة فقط، وانت تتكلمين وكأنه طلب هذا مني مئة مرة.

ـ ان رجلا كفرنسوا لن يقحم نفسه في حياة امرأة إن وجدها ترفضه.

لم تجب باتريسيا، بل سارت نحو النافذة سائلة :

ـ ما الذي جعلك تسيرين كالعمياء الى منتصف الليل.

ـ لم اكن كذلك.
ـ كيف تقولين ذلك وانت اجتزت الشارع غير آبهة بالسيارة القادمة.
ـ كانت حادثة. . . اقسم. لقد اسرعت الى الطريق دون ان افكر.
وعلمت ان عليها ان تذكر عناوين الصحف لتقنع باتريسيا انها لم تكن تفكر بشيء آخر. ولكنها لم تستطع الاعتراف صراحة بان كارلوس تزوج.
وقالت لها باتريسيا :
ـ لست آسفة لما حدث، لانه ساعد على الاسراع في اجراء العملية وها انت الآن حرة في المضي في حياتك بعيداً عن الماضي واشجانه.
ـ ماذا افعل بذكرياتي؟
ـ غلفيها بذكريات جميلة. قد يكون الامر صعبا في البداية لكنه ينجح في النهاية فهذا ما فعلته عندما تخلى زوجي عني.
ـ وكم بقيت حتى نسيته؟
ـ سنة او سنتين، ولكن لا تنسي اننا كنا زوجين مدة خمس سنوات بينما معرفتك بكارلوس لم تدم سوى بضعة اسابيع.
فتح الباب فدخل فرنسوا، هادئاً كالعادة، وما ان وصل الى السرير حتى وقفت باتريسيا قائلة انها ستنتظر في الخارج، فقال لها :
ـ لا حاجة لك لتخرجي. فانا لن افحص افريل، وليس لدي شيء خاص اقوله لها.
سألته افريل :
ـ متى استطيع الذهاب الى المنزل؟
ـ بعد اسبوع او اسبوعين.
ـ ولِمَ التأخير؟
قالت باتريسيا :

ـ سأبقى هنا بضعة ايام لأسليك.
نظر اليها فرنسوا شاكراً :
ـ هل انت واثقة ان بإمكانك توفير الوقت اللازم؟ انت دائماً مشغولة.
ـ للعمل الحر فوائد كثيرة، وها انا ذا اجدني دون عمل حتى يوم الجمعة.
قال فرنسوا :
ـ اتمنى ان تقضي ما تبقى من وقتك معي.
جر كرسيا ليجلس قرب افريل، وبدأ يبلغها رسائل من السيدة اشباي، وبعض المرضى الاخرين.
ـ العديد من المرضى ارادوا القدوم لرؤيتك، لكنني اعتقد انك لا تريدين ان يزورك الناس وانت في المستشفى.
ـ افضل ألا يزورني احد إلاكما طبعاً.
ملأت الدموع عينيها فمدت يدها الى الطاولة لتأخذ منديلاً، فوضع فرنسوا منديله الكبير في يدها وسألها :
ـ لماذا لا تحمل المرأة منديلا ما دامت تحتاجه كثيراً؟
فأجابته باتريسيا :
ـ انا احمل منديلاً على الدوام.
ـ اتقصدين من قولك هذا انك لا تحتاجين الى رجل.
ـ لست بحاجة لإثبات ما هو امر واقع !
انزعجت افريل من العدائية التي اشتعلت فجأة بين شخصين تعتبرهما اعز صديقين، فهمست :
ـ اظن ان علي ان استريح.
قال لها فرنسوا :
ـ سأراك صباحاً.
فتح الباب لباتريسيا كي تتقدمه، ثم سار بهدوء الى جانبها نحو المصعد. وقال :

ـ ما زال الوقت باكراً علي الذهاب الى المنزل، فما رأيك بالعشاء خارجاً؟

ـ وهل لديكم مطاعم في هذا المكان المثير للاشمئزاز؟

ـ ثمة مطعم او اثنان، ام انك تفضلين طبخ السيدة اشباي؟

ـ فلنتناول الطعام في الخارج. واعذرني على مزاجي السيىء، فحادثة افريل صدمتني اكثر مما كنت اتوقع.

ـ افهم هذا.

وضع يده بلطف على ذراعها ورافقها الى خارج المستشفى، ثم الى السيارة. فقالت له :

ـ ارجو ان تتوقف في مكان مضيء كي اضع شيئاً على وجهي فلا احب ان ادخل مطعماً دون مكياج.

ـ انت تبدين اجمل دون مكياج.

فابتسمت ناقدة :

ـ انت من الطراز القديم !

ـ لانني اعرف ما يعجبني؟

فتحت باتريسيا حقيبتها لتتناول مرآتها :

ـ اوقف السيارة، لئلا اضع احمر الشفاه على اذني !

توقف، وأخذ يحدق اليها باهتمام ظاهر وهي تضع الظلال على عينيها، ثم تخرج علبة احمر شفاه ذهبية. فقال فجأة :

ـ هناك شيء احب القيام به قبل ان تضعي احمر الشفاه.

ادارت باتريسيا رأسها لتنظر اليه، والفضول ظاهر في عينيها البنيتين :

ـ ما هو؟

ـ هذا !

جذبها الى صدره، وضمها اليه بقوة، ثم تركها وعاد الى مقعده.

ـ ضعي الآن احمر الشفاه.

وضعت احمر الشفاه بيد مرتجفة جعلت السائل يتمدد على شفتيها اكثر من الحد الطبيعي فمسحته بمنديل «كلينكس» بطريقة قاسية ثم اعادت وضعه من جديد فقال لها :

ـ هل انزعجت من عناقي؟

ـ لم افكر بالامر كثيراً.

ـ إذاً فكري، واخبريني.

أدار محرك السيارة. فقالت :

ـ ولماذا؟

ـ لأنني سأعانقك من جديد، ولن افعل هذا اذا كنت تعترضين.

ـ لقد اتيت الى هنا لرؤية افريل. لا لإقامة علاقة عابرة لا معنى لها.

ـ انها ليست علاقة عابرة.

ـ إذاً ما هي بحق الجحيم !

ـ بداية علاقة حب. لا تحاولي شتمي، فهذا لا يليق بك.

ـ اللعنة عليك. . اللعنة عليك. . اللعنة عليك !

ـ إذاً انت تحبيني !

أوقف السيارة بعنف، ليجذبها اليه ثانية، لكنها ابتعدت عنه، وهي خائفة :

ـ لا تلمسني ! الامر كله جنون. فنحن لا نعرف بعضنا.

ـ اعرف عنك ما انا بحاجة اليه. وامامنا سنين طويلة لردم الفروقات.

فصرخت :

ـ لا. . لن ينفع هذا.

بدا وكانه يرغب في مناقشتها، لكنها بقيت متوترة، فتنهد وادار المحرك ثانية. وصلا الى المطعم بصمت، وما ان دخلا، حتى بدأ الكلام فوراً، وتطرقا الى كافة الموضوعات باستثناء موضوعهما. وما

ان عادا الى السيارة حتى قالت له :

ـ لقد كانت وجبة مقبولة.

ـ كنت اعرف انها ستعجبك. يجب ان تتعلمي ان لا تحكمي مسبقاً على أي شيء. اذ قد تجدين في القرى الصغيرة أشياء مميزة.

ـ اتعتبر وجود مطعم جيد في القرية امرا جيدا.

ـ في القرى تجدين الصداقة الحقّة والاهتمام الصادق، والتعاون بين الناس.

ـ والقيل والقال، والاحكام المسبقة، والتطفل.. هذا ما تعنيه القرية الصغيرة لي.

ـ إذاً انت تحكمين مسبقاً على القرى، فهل عشت فيها يوماً؟

ـ عشت حياتي كلها في لندن ولا انوي الانتقال منها يوماً.

ـ قد ابيع حصتي في العيادة، لأشتري عيادة في لندن اذا كنت تفضلين ذلك.

ـ هل انت مجنون؟ اعتقدت انني اوضحت تماماً مشاعري تجاهك.

ـ أراك الآن تتصرفين كطفلة مذعورة.

ـ اين ستجد فتاة كهذه هذه الأيام؟

قاد السيارة ضاحكاً نحو الفندق حيث انتظرها في الردهة الى ان جمعت ثيابها في الحقيبة ودفعت فاتورتها. بعد ذلك اكملا سيرهما حتى لاحت لهما انوار «غارنافن». اوقف السيارة في مدخل صغير ثم فتح لها الباب، فصعدت باتريسيا السلم وانتظرته، حتى دخلا معاً الى المنزل.

ـ لا يبدو منزلك كمنزل أرمل.

ـ السيدة اشباي رائعة.. لكنها ليست زوجة.

ـ انت لا تحتاج الى زوجة.. فلماذا ترغب في المشاكل؟

ـ كنت سعيداً مع زوجتي السابقة، وارغب في ان اكون سعيدا مرة اخرى.

ـ نحن على النقيض يا فرنسوا لذا الافضل لك ان تعيش مع ذكرياتك.

ـ الهذا لا تريدين الزواج ثانية، ام لانك باقية على حب زوجك؟

ـ احب زوجي؟ انه خنزير حقير.

ـ لماذا تعارضين الزواج اذن؟

ـ انا لا اعارض الزواج، انما لا ارغبه او اريده.

تنهد بقوة.

ـ حسن جداً. سأعمل بنصيحتك، لا بالعيش مع الذكريات انما بالبحث عن امرأة اخرى.

التقطت ملقط النار وغرزته بقوة وغضب في النار قائلة :

ـ انا متأكدة انك لن تجد صعوبة في ايجاد الأرامل الصغيرات المستعدات لإعطائك ما تحب.

ـ كنت افكر بامرأة شابة ذات شعر طويل وقامة جميلة. لن تحتاج الى المال ابداً.

ـ سوف تأخذ مالك ثم تتركك !

قالت هذا بغضب ثم استدارت بعنف، لكنها عندما رأت وجهه علمت انه كان يغيظها بقوله ذاك. لذا تركت الملقط من يدها وهمّت بالوقوف، لكنه منعها من ذلك وقد اصبح قربها راكعاً على الأرض واضعاً يديه على كتفيها وهو يقول :

ـ لم اغازل امرأة قط وانا راكع على الارض، لكنني اجده امرا لا بأس به.

ـ لن تجرؤ !

ـ لا تكوني واثقة هكذا.

لم تستطع الفكاك من يديه المحكمتين رغم مقاومتها التي جعلته يهزها قائلاً :

ـ سيدهشك ما قد افعله للحصول عليك. منذ ان رأيتك وانت لا تبرحين خيالي، كان مجيئي الى لندن لاصطحاب افريل حجة

للقائك.

ـ انت تهدر وقتك سدى، لانك لا تعجبني.

ـ كاذبة جبانة. ممّ تخافين مني ام من نفسك؟

وهزها ثانية، بخشونة اكثر، وتابع :

ـ انك تحبينني ومع ذلك تخنقين حبك، لانك خائفة من هذه الحقيقة حتى الموت. فإن كنت تريدين المضي في الهرب فافعلي ما يحلو لك اما الآن في هذه اللحظات. . فانت لي، لي فقط.

وقبل ان تجيب جذبها اليه ليعانقها بحنان اظهر شوقه الشديد اليها. حاولت مقاومته للحظات، لكنه لم يبال بها بل استمر يعانقها للحظات طويلة. وعندما ابعدها عنه قليلاً نظر اليها هامساً.

ـ حسناً. . ما رأيك هل اتابع التفتيش عن فتاة صغيرة؟

ـ سأقتلك ان فعلت !

ضحك بصوت خفيض، بينما راحت باتريسيا ترتب شعرها قائلة :

ـ كل ما نقوم به سخيف، اننا نتصرف وكأننا مراهقان. اعتقد انك فعلاً راغب في اقامة علاقة معي يا فرنسوا، حسناً لقد ربحت. لن استطيع انكار ما اشعر به نحوك.

ـ أريدك زوجة لي. لا يهمني إن عملت ام لا، انما يهمني ان اعود الى منزلي لأجد فيه زوجتي الحبيبة. أحبك يا باتريسيا.

امتلأت عيناها بالدموع، ومدت يدها الصغيرة لتمسحها بغضب.

ـ لم يدم زواجي مدة طويلة، لذا لست أكيدة انني استطيع النجاح، كما اعتقد ان علينا التعرف الى بعضنا أكثر.

ـ حسن جداً. . سآتي الى لندن في نهاية الاسابيع المفردة التاريخ. على ان تأتي الى هنا في التواريخ المزدوجة. . حتى اذا ما قر رأيك. . .

ـ وماذا عن رأيك انت؟

ـ لقد اتخذت قراري لحظة رأيتك. .

ـ تبدو واثقاً.

نظرته المليئة حناناً ووعوداً، كانت كافية كرد لها، مدّت اليه يدها ليستطيع ان يجذبها لتقف على قدميها. ثم صعدا معاً الى الطابق العلوي، حيث عانقها من جديد بعمق وعاطفة قبل ان تدخل غرفة نومها.

ـ عمت مساء يا باتريسيا، يا اعز الناس.

فردت عليه.

ـ سيكفيني شهر.

ثم اغلقت الباب في وجهه قبل ان يرد عليها. . .

www.elromancia.com

١١ ـ نار تحت رماد

وجدت افريل المنزل في «غارنافن» جنة هادئة بعد ضجيج المستشفى وصخبها وكان فرنسوا قد رفض عودتها الى العمل قبل مضي اسبوع آخر قضته في التفكير بما يشغل بالها. أي بكارلوس الذي انتهى كلياً من حياتها بعد زواجه.

كانت دهشة لأن باتريسيا لم تذكر شيئاً عن زواج كارلوس، لكن دهشتها زالت عندما علمت ان صديقتها كانت في مراكش أثناء نشر الخبر، اما فرنسوا فلم يذكر كارلوس يوماً ولم يكن ذلك بامر مستغرب لأن فرنسوا رغم معرفته قصة حبها لم يكن يعرف اسم حبيبها.

ركزت خلال فترة راحتها على تعلم الطبخ من السيدة أشباي، وفي احدى الامسيات صنعت كعكة بنفسها، وعندما ذاقها فرنسوا ضحك قائلاً :

ـ انك بارعة كأمهر الطهاة.

ـ على الاقل استطيع ان استلم المنزل عندما تذهب السيدة اشباي في عطلتها عند الصيف.

ومرت على وجهه نظرة مضطربة فسألته ما اذا كانت قد قالت شيئاً ازعجه فأجاب :

ـ بالطبع لا كنت فقط اتساءل ما اذا كان علي ان اخبرك ام ان اترك الامر لباتريسيا.

ـ عم ستخبرني؟

ـ عن باتريسيا وعني.

ـ عن زواجكما ! لولا انشغالي بالبكاء على ذاتي لعرفت ذلك دون ان تخبرني. . اوه يا فرنسوا انها افضل اخبار سمعتها منذ

سنوات !

ـ ارادت باتريسيا ان تخبرك قبل عودتها الى لندن، لكنني منعتها عن ذلك لانني حسبتك في وضع قد لا يسمح لك بالتمتع بسعادة الناس.

قدرت افريل له هذا التفكير لكنها اكدت له ان سعادة الآخرين تهمها كثيرا، فهي لا تريد ان يكون الناس بائسين مثلها، انما تتمنى الخير لكل البشر. ثم اردفت قائلة :

ـ هذا شيء كنت احلم به، كيف تمكنت من جعل باتريسيا تستسلم؟

ـ لن أتأكد من أنها استسلمت حتى نتزوج فعلياً.

ـ لقد عاشت محنة مريرة من جرّاء زواجها السابق، لذلك تجدها تخشى الزواج ثانية.

ـ وهل كرّهتك تجربتك من اقامة علاقة اخرى؟

ـ لست متأكدة.

وتقدم ليقف الى جانبها ويقول :

ـ انا اؤمن بالحل عن طريق النقاش، فاذا احببت مناقشة الأمر. .

ـ كان يجب ان اخبرك قصتي قبل الآن، لكنني اعتقدتني قادرة على نسيان ما يؤلمني اذا امتنعت عن الحديث عنه، فاذا بي ادرك خطأ اعتقادي، لان السبيل الى نسيان مشكلة ما هو التحدث عنها مع الاصدقاء.

فكان ان شرعت تقص عليه قصتها كاملة ابتداء من طريقة التقائها بكارلوس مروراً بأحاسيسها التي خانتها وبالحادث الذي تعرضت له بعد اكتشافها علاقته بجولي انتهاء بسبب هروبها الارعن بعد قراءتها ذاك المقال.

فقال فرنسوا :

ـ إذاً فهو مسؤول عن حادثتك؟

ـ اجل، ولكنه غير مسؤول عن الضرر الذي حدث لدماغي.

توقفت فجأة، وقد تملكها الغضب من نفسها لاستمرارها في الدفاع عن رجل هو كل ما تحتقر في الدنيا.

ـ اذن يوم ذهابي الى لندن قرأت ذاك الخبر الذي جعلك تركضين خارجة الى الشارع. لكنني لم اقرأ هذا الخبر.

ـ انت لم تقرأ صفحة الاجتماعيات.

ـ صحيح. . لكن لماذا لم تخبريه انك قد اصبت رأسك تلك الليلة في اليخت؟

ـ كان شعوره بالذنب تجاهي قد يجعله ينفصل عن جودي ليتزوجني.

ـ وهل في ذلك ما يضير؟

ـ كيف تسأل سؤالا كهذا، ونحن لا نملك شيئاً مشتركاً.

ـ لو لم يكن بينكما شيء مشترك لما انجذب اليك.

ـ كان يريدني للتسلية، ولا احسب ان الزواج قد يبنى على الرغبة البحتة.

ـ لكنه جاء الى «تورك واي» لرؤيتك، لا بد ان هذا. . .

ـ لقد اتى ليريح ضميره.

ـ لو كان يريدك للتسلية لما آلمه ضميره! ابعدي هذه الفكرة يا افريل. . لو اعتقد انك فتاة للهو لما فكر بالاعتذار عما حدث.

كان في كلماته كثير من الصحة، لكن اوان الندم قد فات.

ـ لا استطيع الآن ان افكر سوى في المستقبل، الماضي انتهى ولا استطيع ان احييه ثانية. يجب ان افتش عن وظيفة جديدة، فلن تحتاجني معك بعد ان تتزوج.

ـ باتريسيا ستكون زوجتي، وبما انني دون موظفة استقبال فسأحتاجك حتماً. ولا تنسي ان المنزل رحب واسع يتسع لنا جميعاً.

ـ لا استطيع لانني سأكون رقيباً في غير موقعه.

بدا سعيدا عندما ذكرت رأيها بشأن البقاء معهما.

ـ لكن اين الهرب هذه المرة؟

ـ اظنني سأعود الى لندن. . . لانني احتاج الى البدء بحياة جديدة ممتعة، واعتقد انني لن احصل على الحياة التي انشدها الا في لندن.

ـ هذا قرار حكيم يا افريل. وانا لا اعني انني ارغب في الخلاص منك، ولكن ذلك بالنسبة لوجهة نظرك افضل شيء تفعلينه.

ـ متى ستتزوجان؟

ـ اريد الزواج قبل انتهاء هذا الشهر، فلقد حصلت على ترخيص الزواج. . لكنني لم اقل لها.

ـ إنها بحاجة لمن يكون آمراً. اذهب اليها في نهاية الأسبوع وواجهها بالامر الواقع، وإلا ستظل تجد الاعذار للتأخير.

ـ هذا ما افكر به تماما، انها قادمة الى هنا هذا الاسبوع، والاسبوع القادم ايضاً.

ـ اي في عيد الميلاد، لماذا لا تذهب الى لندن وتتزوجها هناك؟

ـ باتريسيا ترغب في ان نقضي الميلاد معاً جميعاً.

ـ ستكون أكثر سعادة معك.

ـ احب الزواج في الميلاد.

ـ اذهب الى لندن يوم السبت وحاول اقناعها، اذ سيكون امامك عطلة الأسبوع كلها لتقنعها بالأمر.

ـ انت على حق. . سأتبع نصيحتك.

عندما وصلت باتريسيا في نهاية الاسبوع، اقترح فرنسوا على افريل.

ـ ما رأيك بالعمل الاجتماعي؟ في ايامي كان يقوم به المتوسطون في العمر، ولكن في هذه الايام يقوم به الشبان امثالك!

عارضت باتريسيا قائلة :

ـ افريل ذات قلب رقيق، سيكون العمل ثقيلا عليها.

ـ فلتكن ممرضة.

نظر الى افريل ثم اردف :
ـ أنت لا تزالين شابة، فكري بكل الأطباء الشبان الذين ستقابلينهم !
تدخلت باتريسيا ثانية :
ـ لا تنسى تلامذة الطب؟
فضحكت افريل قائلة :
ـ كونا جديين.
فقالت باتريسيا :
ـ نحن نحاول ذلك. لأن الفرصة ما زالت سانحة امامك، فالانطواء على الذات لن يجدي خيراً، لذا علي السعي الى ايجاد وظيفة مثيرة مسلية لك.
أجابتها افريل :
ـ ثمة وظائف كثيرة متاحة لي، أصحابها يلهثون ورائي !
ـ ولماذا لا؟ انت شابة جميلة، وذكية أيضاً. . .
توقفت باتريسيا قليلا ثم صاحت :
ـ وجدتها. . ! روبرت بونز، المنتج التلفزيوني، انه يبحث عن سكرتيرة.
ـ وما المثير في وظيفة سكرتيرة.
ـ ستكونين سكرتيرة ورفيقة له في الوقت نفسه، لأن روبرت من النوع الذي سيأخذك معه الى حيث يذهب. خاصة عندما يدرك شدة ذكائك.
ـ كم يداً له؟
ضحكت باتريسيا، وقد فهمت ما تقصده افريل :
ـ له اثنتان وهما مشغولتان بزوجة شقراء جميلة لا تخافي يا عزيزتي من هذه الجهة، فروبرت منتج ماهر، والعمل عنده سيدفعك الى مقابلة انواع مختلفة من البشر.
اخرجت من حقيبتها دفتر مذكرات سميك، اخذت تقلب

صفحاته :
ـ لدي رقمه الخاص في مكان ما هنا. . أوه. . ها هو.
ـ لا داعي للعجلة. . لا استطيع ترك فرنسوا حتى يجد بديلة عني.
ـ اذا لم اتصل بروبرت على الفور فقد يوظف فتاة اخرى. فالفتيات يتقاتلن للعمل معه. وعلى فرنسوا ان يدبر امره لبضعة اسابيع.
فابتسم فرنسوا وقال :
ـ شكرا. . هل تستطيعين مساعدتي؟
ـ يبدو ان المطاف سينتهي بي في عيادتك حيث سألتقط صوراً لمرضاك.
فضحك وقال :
ـ هل فكرت أبداً في التدرب على التصوير الشعاعي؟
ـ للأسف لا. . وإلا لاستطعت ان اساعدك.
ـ وجودك قربي اعظم مساعدة.
واحست افريل باللهجة العميقة في صوته، فخرجت من الغرفة دون ان تعتذر لانهما لن يتنبها لاعتذارها وان قالته خاصة وهما في هذه الحالة الحميمة حيث النظرات تبث اروع الالحان. استغلت هذه الفرصة في ترتيب الملفات اذ يجب ان يكون كل شيء في موضعه قبل ان تنتقل الى عمل آخر، عندما دخلت عليها باتريسيا :
ـ يجب ان تذهبي لتقابليه يوم الاثنين في «استر هاوس».
ـ لكن اعمال فرنسوا يوم الاثنين، فكيف اتركه؟
ـ سأبقى معه، اذ لا عمل لدي يوم الاثنين. .
ـ سأعود رأساً بعد مقابلة السيد بونز. . اعتقد ان هذه الوظيفة ليست باليسيرة.
ـ لقد كنت خير سكرتيرة عندما عملت مع امرأة فوضوية مثلي، لذا لن تجدي صعوبة في عملك معه. فلا تقللي من قدر نفسك يا

www.elromancia.com

افريل. . انت فتاة قديرة جداً.

تذكرت افريل هذه الكلمات، بينما كان احدهم يرافقها في «استر هاوس» نحو غرفة كبيرة مليئة بالناس. حيث وقف رجل طويل نحيل في مثل عمر فرنسوا يستقبلها :

ـ عذراً لانني لن اقابلك وسط هذا المشهد، لاننا نتباحث في شؤون تمثيلية جديدة.

ـ هل تريدني ان اعود فيما بعد؟

ـ سيكون الامر اسوأ فيما بعد. اجلسي على مقعد وانتظري. ساتحدث اليك في اقرب فرصة ممكنة.

خلال الساعتين التاليتين استمعت افريل باهتمام الى النقاش الساخن حيناً والغاضب آخر. كان عدد الموجودين لا يتجاوز الخمس، لكن اصواتهم الصاخبة تجعلك تحسهم ضعف هذا العدد. مضى الوقت سريعا اذ لم تلاحظ ان وقت الغداء قد ازف لولا قرصات الجوع. وعندما نظرت الفتاة التي تجلس قبالتها الى ساعتها، وجدت ان الجميع يستجيب لنداء الرحيل، ومرر روبرت بونز يده في شعره الاشيب متنهداً :

ـ آسف. لانني جعلتك تنتظرين هذه المدة. نستطيع الكلام ونحن نتناول الغداء. الا اذا كان لديك مواعيد اخرى؟

ـ موعد فقط عند الخامسة مع قطار العودة.

ـ هذا يعطينا وقتاً كافياً.

سار خارجاً من الغرفة فلحقت به، راكضة كي تستطيع السير الى جانبه. صعدا المصعد الى الطابق العلوي، ثم الى غرفة طعام حيث كان حوالي عشرين شخصاً يتناولون الطعام.

ـ انه مطعم المنتجين.

قادها الى احدى الطاولات، وعندما تقدم منهما احد السقاة، قال له روبرت :

ـ كالمعتاد ارجوك لاثنين.

ثم مال في مقعده الى الخلف وقال :

ـ اذا كنت راغبة في الوظيفة. فانها لك.

حدقت اليه مستغربة.

ـ لكنك لا تعرف ما اذا كنت مناسبة لك.

ـ لقد اخبرتني باتريسيا ما فيه الكفاية عنك. . اردت فقط ان اراك، كي اتأكد من انك مناسبة، فلو كنت سمينة ووجهك مليء بالبثور، لما وظفتك !

ـ لو كان لدينا هاتف مرئي، لوفرت على نفسي مشقة السفر !

فضحك وهز رأسه مطرقاً، ثم اخذ يقطع قطعة اللحم امامه.

عند الثانية والنصف ذهبت افريل بعد ان اتفقا على الاجر وعدد ساعات العمل التي يضاف اليها ساعات اخرى عند الضرورة. وهذا امر توقعته اذ طالما قضت ساعات اضافية عند باتريسيا.

بعد انتهاء المقابلة قررت الذهاب الى ساحة «ترافل غار» ومنها الى الحديقة العامة. وبينما هي في بعض مسيرها وسط جو لندن البارد، اذ بسيارة اجرة تمر بها، فحاولت ايقافها لكن التاكسي كان مشغولا، لذا وقفت تنتظر سيارة اخرى. فجأة توقفت سيارة فخمة امام اشارات السير، فيها فتاة ذات شعر احمر جالسة في المقعد الخلفي، ملتف وجهها بمعطف فرو.

انها جودي غاردنر، بل هي الآن جودي بريوري. تراجعت الى الخلف وهي ترتجف، خشية ان تراها الفتاة. . كم تبدو جميلة، بمظهرها الكامل الأنيق، كمال لم تكن تملكه في الصيف الماضي. . لابد ان الزواج من كارلوس قد اعطاها هذا التألق الذي تضيفه السعادة الى وجه الانسان. فقد لا يكون كارلوس يحبها كما تحبه، لكنه دون شك ممثل قدير ليتظاهر بانه يحبها. ولا يمكن لعروس ان تبدو اكثر سعادة.

مرت بها سيارة اجرة فارغة، فنادتها وصعدت اليها منزوية في المقعد الخلفي، كأنها تريد الاختباء من افكارها. بعد ذلك قصدت

محطة القطار غير مبالية بمشاهدة المحلات التي ارادت رؤيتها قبل فترة وجيزة. وفي مقهى المحطة شربت كوب قهوة بانتظار موعد سفرها. عندما هبطت السلم باتجاه القطار تنفست الصعداء وهي تحذر نفسها من مغبة هذه المشاعر التي يتوجب عليها مواجهتها بموضوعية منذ الآن فصاعداً.

احست بالاطمئنان والراحة عندما عادت الى بيت فرنسوا شاعرة انها تنتمي الى هذا البيت الذي لم تسكنه سوى أشهر قليلة ومع ذلك بدا لها وكأنها عاشت العمر كله فيه.

كم ستشتاق لهذا المنزل عندما تعود الى لندن. لكنها لم تظهر شيئاً من احاسيسها عندما اخبرت فرنسوا وباتريسيا بانها ستبدأ عملها الاثنين القادم. قالت لهما قبل ان تقدر على منع نفسها :

ـ لقد رأيت جودي. . زوجة كارلوس. انهما متزوجان كما تعلمان.

ساد صمت مطبق. فنظرت باتريسيا وفرنسوا الى بعضهما وكان فرنسوا السباق للكلام :

ـ هل تكلمت معها؟

ـ لم ترني. كانت في السيارة اجمل وانضج مما اتذكرها.

أجبرها صوت باتريسيا، على دفع الذكريات عن ذهنها، لتركز أكثر على مستقبل صديقيها السعيد، فقد كان باتريسيا وفرنسوا يتحدثان عن الزواج، كانت باتريسيا تقول بانها تظن ان آخر شهر كانون الثاني هو موعد مناسب، فقال فرنسوا :

ـ انه موعد ممتاز. لكنني كنت اعتقد اننا سنمضي الميلاد معاً وحدنا، سأجيء الى لندن لاقضيه معك في شقتك.

ـ لا تستطيع ترك افريل وحدها. . يجب ان تأتي معه يا افريل.

ـ سأشعر وكأنني اقف في طريقكما، لذا لا تحاولا اقناعي بتغيير رأيي، سأبقى هنا.

ـ وماذا ستفعلين وحدك؟

ـ سأذهب الى الكنيسة. واشاطر السيدة اشباي بالديك الرومي. واشاهد التلفزيون، ولكنني اعد ان اعوض عن هذا في الميلاد القادم وقد اكون متزوجة حينها.

كان لهذه الكلمات خير وقع على باتريسيا التي تلاشى عنها الذنب وهي تتصور مستقبلا سعيدا لافريل. لكن افريل، وهي مستلقية في الفراش مصغية لدقات ساعة البلدة التي تعلن الثانية صباحا، لم تؤمن مقدار املة بهذه الكلمات، فهي موقنة من انها لن تتزوج بعد سنة بل بعد سنوات.

١٢ ـ حيث رست القلوب

عادت باتريسيا الى لندن في الصباح التالي. فبدا فرنسوا وكأنه قطة اضاعت اولادها، كان سيذهب الى لندن يوم الجمعة، أي قبل الميلاد باربعة ايام، وهو عازم على الزواج من باتريسيا يوم السبت.

ـ سوف تحتج قليلاً. . لكنني لن اقبل رفضها ابداً.

ـ واين ستقضيان شهر العسل؟ ام ان هذا سر؟

ـ ليس هناك سر يا عزيزتي. سنبقى في الشقة الى ان نعود الى هنا يوم الاربعاء.

ـ وفي هذا الوقت اكون قد غادرت الى لندن. . ومن الرائع ان تقترح علي باتريسيا السكن في شقتها الى ان اجد شقة لنفسي.

– ولماذا لا تأخذين شقتها؟ لن تحتاجها بعد الزواج الا عند الضرورة وبما انها ستحتفظ بالاستديو فسيكون من الافضل ان تعيش احداكما فوق الاستديو مباشرة.

نظرت اليه افريل بإعجاب قائلة :

– انها فكرة رائعة. . تجد حلولاً لكل شيء.

– احاول. . لكنني لم انجح دائماً، فانا لم اجد حلاً لمشكلتك وها تعاستك ما زالت قائمة تملأ وجهك.

– سأبذل جهدي للتغلب على تعاستي.

ووقفت معلنة أنها ستحضر القهوة.

ولم يكن فرنسوا يفكر بشيء عندما صعد السلم الى شقة باتريسيا صباح السبت التالي، كان قد وصل متأخراً ليل الجمعة، ولم يجد من المناسب زيارتها ليلاً، لذا اتصل بها من الفندق ليقول إنه آت صباحاً، فقالت :

– تعال حوالي الظهر، ليتسنى لي الخروج لشراء بعض

الاغراض.

– سأحضر عند العاشرة، فاياك الخروج قبل ان اصل.

كان يقف امام الباب منتظراً وشعور بالقلق يسيطر عليه. فها هو ترخيص الزواج في جيبه وموعد الزواج قد حدّد دون ان يذكر شيئاً للمرأة التي يحبها، إنها ليست فتاة صغيرة كي يتجاوزها، فلو اصرت على عدم الزواج قبل كانون الثاني، فلن يكون امامه سوى الخضوع. شد على كتفيه وعاد الى قرع الباب.

– يا لك من لجوج.

وقفت باتريسيا امامه مرتدية مريلة صفراء براقة. فتابعت وهي تلوح في وجهه بمنفضة غبار :

– انا انظف الشقة، ادخل وساعدني.

– لكن الاطباء لا يقومون بأعمال المنزل !

– وهل يصنع الاطباء الشاي؟ إذاً. . ادخل الى المطبخ وحضّر لي فنجاناً.

– هذا الطبيب لا يعرف سوى الحب.

جذبها اليه وعانقها بشدة. الى ان احس بها ترتجف بين ذراعيه عندها علم انه سيد الموقف لذا تركها قائلاً :

– هيا اخلعي هذه المريلة وحضري نفسك، سنخرج لنتسوق.

– ألا يمكن ان ننتظر الى ما بعد الظهر؟

– سيكون امامنا أشياء اخرى بعد الظهر. نظرت اليه بارتياب :

– وما نوع هذه الاشياء؟

تجاهل سؤالها، ثم سار نحو غرفة الجلوس دون ان يجلس. اختفت باتريسيا في الداخل، وسمع صوت المياه تنهمر من الحنفيات، والابواب تفتح ثم تغلق. وبعد خمسة عشر دقيقة ظهرت امامه بثوب احمر، وشعرها لماع اسود وكأنه جناح الغراب، قالت وهما يهبطان السلم الى الخارج :

– لست بحاجة للتسوق لاجل الميلاد. لقد اشتريت لك هديتك

منذ وقت طويل.

- لن نذهب للتسوق.

- اين سنذهب اذاً؟

ومال الى الامام ليفتح النافذة التي تفصل بينهما وبين السائق في السيارة التي استقلاها :

- خذنا الى غاكسون هال. .

عاد الى الجلوس في مقعده بعد ان اغلق الحاجز. فلم تقل باتريسيا شيئاً، لذا اخذ يحدق اليها وهو يشعر بالاضطراب لرؤية وجهها الهادىء، ثم قال :

- نحن ذاهبان لنتزوج. انها احدى هدايا الميلاد لك.

- اعتقد اننا اتفقنا على ان يكون الموعد في نهاية كانون الثاني.

- لم اعد استطيع الانتظار.

- هل انت خائف من ان اغير رأيي؟ لست طفلة يا فرنسوا. وارفض ان تعاملني كطفلة. . . لدي التزامات. . عدة مهمات لا استطيع التخلي عنها.

- انا لا اطلب منك التخلي عنها. اطلب منك فقط الزواج مني. الا اذا كنت لا تريدين؟

- بالطبع اريد، ولكنك تستعجلني.

- وإن يكن. . اللعنة ! كنت اريد ان اتزوجك منذ شهر. ولكنني لم املك الشجاعة. احبك يا باتريسيا، فلم الانتظار شهر آخر؟ لو تزوجنا في آخر كانون الثاني او في آخر نيسان، فسيكون هناك مهام اخرى لم تنجزيها بعد، فما الفرق لو تزوجنا الان؟

- لأنني هيأت نفسي كي اكون حرة خلال شهر شباط كله ! اريد شهر عسل مناسب معك !

- سيكون شهر شباط شهر عسلنا. اما الآن فلنتزوج وإن اضطررت الى تركك يوم الثلاثاء عائدا الى ويلز.

- وهل ستكون راضياً بهذا؟

- لن اكون راضيا ابداً بالابتعاد عنك، ولكني على الاقل سأعرف انك لي. .

لم يقل المزيد، ومال الى الخلف في مقعده. باتريسيا مشغولة بأفكارها. فجأة امتدت يدها الصغيرة الباردة لتستقر في يده الكبيرة الدافئة، وبتنهيدة قصيرة انزلقت فوق المقعد ورمت رأسها على كتفه، وهمست :

- انا سعيدة للزواج من رجل يعرف تماماً متى يكون السيد، ولكن لا تتوقع مني ان استسلم دون مقاومة.

- لن امانع. . طالما سنكون معاً.

كانت اجراءات الزواج مختصرة وسريعة. لكن حدوثها فجأة جعل باتريسيا وفرنسوا يعيان تماما وراء الكلمات الهادئة التي قالها لهما مسجل عقود الزواج، وما إن غادرا «غاكسون هول» مخترقين طريقهما عبر عدة شبان منتظرين دورهم، حتى لم تعد باتريسيا قادرة على منع نفسها من ملاحظة أنها اكبر عروس هناك. فقال فرنسوا :

- وانا كنت اكبر عريس.

صباح الثلاثاء الباكر، استيقظ فرنسوا قبل باتريسيا، واخذ يحدق الى وجهها النائم، مفكراً بحظه الجيد الذي جعله يتعرف الى دفء هذه المخلوقة الرائعة، لم يكن يصدق انهما قد تزوجا منذ يومين. كانت فكرة مغادرة لندن اليوم مؤلمة جدا لذا ابعدها عنه ثم سار الى المطبخ ليحضر ابريق شاي.

عندما عاد بالشاي وجد باتريسيا جالسة في السرير، فقالت ضاحكة :

- جميل ان انتظر في الفراش هكذا ! اعتقد ان الزواج منك سيعجبني.

- اتظنين فقط؟

- انا لم اعتد بعد. . ما هي خططك لهذا اليوم؟

- كما بالامس.
فضحكت وقالت :
- انا لا اعرف ان رجل في الخامسة والاربعين له نشاطك هذا.
- ولا انا.
اخذ قطعة نقود معدنية ورماها في الهواء ثم التقطها ووضعها تحت يده على الطاولة قرب الفراش.
- اذا كانت «رأس» تذهبين الى الحمام قبلي. . واذا كانت «النقش» ذهبت انا.
- ولكنني سأذهب انا على كل الاحوال.
بعد وقت لاحق. . استلقيا فوق السرير يتفحصان كومة مجلات وجرائد قديمة. وقالت باتريسيا :
- الشيء الوحيد الذي اكرهه في الاعياد هو ان الجرائد لا تصدر فيها. حيث لا استطيع قراءة صفحة الفضائح المفضلة لدي.
نظرت الى صفحات صحيفة اسبوعية صغيرة، وقد غاب اللون عن وجهها فقالت :
- هذا غريب. . . انه ليس خنزيراً. . .
- من هو هذا الرجل المنكود الذي تتحدثين عنه؟
- كارلوس بريوري، ثمة صورة له هنا.
مال فرنسوا الى الامام ليتفحص الصورة.
- فهمت الآن سبب حبها له.
أخذ يقرأ المقال تحت الصورة، وكان مقالاً طويلاً فاحتجت باتريسيا.
- قلت انظر الى الصورة.
- دعيني انهي المقال.
احست بتوتر في صوته، فمالت هي الاخرى لقراءة المقال، لتقول بعد ذلك.
- حسنا. . ناقلتان عملاقتان اخريان لبروميللي واربعة لليابان يا

له من رجل ذكي. التقطت هذه الصورة بعد عودته من مطار هيثرو اي بعد شهرين من رحلة له في الشرق الاقصى.
- متى قرأت افريل خبر زواجه.
- ليلة الاصطدام، اذ كان المقال سبباً في ما حدث لها.
نظرت الى فرنسوا بعد ان دققت بالتاريخ ثانية.
- لا افهم هذا. الا اذا تزوج وهو مسافر.
بدا الارتياب على فرنسوا :
- أمثاله عادة يتزوجون في كنيسة «سانت جورج» او في كنيسة بلدتهم، ولا احسبه يتزوج خلال رحلة عمل.
- اجل. . لكن افريل لم تتخيل العناوين انما قرأتها.
قفز فرنسوا من السرير واسرع الى ثيابه :
- الى اين؟
- الى المكتبة العامة لأراجع بعض الصحف القديمة.
- انها مقفلة اليوم.
- اين ساراجعها اذن؟ هيا يا حبيبتي، انها مهنتك.
- ما رايك بشارع فليت، شارع الصحافة. فالصحافيون في مثل هذا الوقت يحضرون الجرائد ليوم الغد. وتستطيع مراجعة النسخات في مكتباتهم. انتظرني ريثما ارتدي ملابسي، سأرافقك، لكن قل لي عم ستبحث؟
- عن العناوين التي دفعت افريل الى الركض كالمعتوهة.
بعد ساعتين من البحث وجدا بغيتهما وقد ظهرت ملامح الانتصار على وجهيهما.
- لقد قفز الى ذهن افريل استنتاج خاطىء. يجب ان نخبرها فوراً.
فردت عليه باتريسيا :
- وما الفارق ! انسيت قولها انها صدته عندما اتاها زائراً في المرة الماضية؟ ومنذ ذلك الوقت الى الآن لم يحدث اي تغيير.

www.elromancia.com

- بل تغير كل شيء، لقد اعتقدت افريل ان كارلوس سيتزوج من ابنة فوستر، لذا شعرت بالمرارة عندما ذهب اليها وهي تعتقد انه ما عاد الا ليكفّر عن ذنبه. لذلك عندما حاول مصارحتها بحبه صدّته لانها حسبته يريدها خليلة.

لم تقتنع باتريسيا، بقوله لذا قالت :

- ربما كان مرتبطاً بالفتاة الاخرى، ثم حدث شيء بينهما.

- لا اصدق هذا. . اعتقد ان السيدة فوستر كذبت على افريل، وهذا معناه انها كانت قلقة، لانها عرفت ان كارلوس يحب افريل.

- اتعني ان افريل هربت من اليخت دون سبب؟

- كنت شاهدا عيانا على تصرفه بعد تلك الحادثة، انسيت مطاردته لك في الاستديو ليعرف عنوانها وسعيه اليها ما ان علم به.

- لقد ابعدته عنها وفي اعتقادها انه قد خطب جودي، ها قد عدنا الى نقطة الصفر. ما العمل الآن؟

- سأقابله لاقول له الحقيقة.

- لن تسامحنا على هذا.

- اذا وجدت السعادة ستشكرنا العمر كله، لكن إن كان كارلوس لا يود مقابلتها فلن نخبرها شيئاً عن لقائنا به.

قالت باتريسيا :

- لنذهب قبل ان اغير رأيي، ام انك تفضل التحدث معه رجلا الى رجل؟

- امرأة ذكية، لقد اجدت اختيار الزوجة المحبة العاقلة.

كان كارلوس في غرفة الاستقبال مع والدته، يقدم الشراب لعدة اقرباء له، عندما دخل الخادم ليقول ان الطبيب بلير يرغب في رؤيته، وتساءل كارلوس ما اذا كان هناك خطأ ما، ولكن كلمة الطبيب جعلته يقرر ان يراه، وما ان خرج الى الردهة، ومد فرنسوا يده، حتى تذكره جيداً فشحب وجهه وتراجع. .

- ماذا تريد؟

- اتيت لاتحدث معك بشأن افريل.

- لا يهمني امرها.

رأى فرنسوا ان الحديث معه لن يكون سهلا كما تصور، فقرر معالجة الموضوع بالصدمة :

- الا تريد ان تعرف شيئا عن حادثتها؟

- اية حادثة؟

خسر كارلوس ما تبقى من لون في وجهه فقطع المسافة الفاصلة بينهما بخطوتين.

- لا تقل انها ماتت؟

أجابه فرنسوا بهدوء :

- لا . . ليس الامر خطيراً الى هذه الدرجة.

- اخبرني عن الامر. . فانا غير قادر على انكار شدة اهتمامي بها.

- يسعدني اهتمامك بها. . لانها تهتم بك كثيرا.

- انها تكرهني !

- بل تحبك.

- لا. . انها تكرهني ولا ألومها على ذلك، عندما اتذكر شناعة عملي. . لقد حاولت ان. . اما زلتما مع بعضكما؟ لقد شاهدتكما في الفندق و. .

- كنت مخطئا تماما، لقد قابلت افريل في ذلك اليوم فقط. . وكانت مريضة في الحديقة، بعد شجارك معها، وعندما لم تسعفها قدماها ساعدتها على الوصول، لكنك عندما رأيتنا في هذا الوضع اسأت الظن بها.

تصاعد الدم من جديد الى وجه كارلوس بريوري.

- كان علي ان اعرف انها ليست من هذا الصنف من الفتيات. وانها لا يمكن. . اللعنة !

ضرب يداً بيد ثم صاح :

- احبها كثيراً ولا استطيع التوقف عن حبها او التفكير بها. لقد بحثت عنها ثانية لكنني لم اجدها.

- كانت تعمل وتعيش معي في منزلي. لقد تزوجت باتريسيا. . السيدة بالمر. يوم السبت.

- فهمت. . اخبرني عن الحادث. . هل هي في المستشفى؟

- لا. . لم تعد هناك.

- هل اصيبت بسوء؟ اريد الحقيقة ارجوك.

- انها بخير. كانت الحادثة لطف رباني بالنسبة لها اذ لولاها لما اجرى الاطباء العملية.

- عفوا لم افهم.

- دعني اخبرك القصة كاملة سيد بريوري، ذاكراً سبب هروب افريل تلك الليلة في مونت كارلو وسبب ما قالته لك يوم جئتها الى الفندق في توركواي.

شرع فرنسوا يسرد عليه القصة من ألفها الى يائها مبتدئاً بما عرفته افريل من السيدة غاردنر انتهاء بقراءة تلك العناوين التي اساءت فهمها.

- إذاً استطيع شكر السيدة غاردنر على كل ما حدث. . فقد جعلتها تحسبني سأتزوج من جودي. اصبح الآن كل شيء واضحاً بيّناً، فهي ما خذلتني إلا لذاك السبب. ليتها سألتني وقتها عن الحقيقة، فنحن كنا على وفاق تام في ذاك الوقت.

- لقد تأثرت كثيراً بما احاطها.

- انا على استعداد لأهب عشر سنوات من عمري لو استطعت التعويض عن تلك الليلة. . عندما افكر بما مرت به. .

- اظنك قد دفعت الثمن.

- دفعته مئات المرات. . اتظنها ستقبل ان تراني ثانية؟ ام اذهب اليها؟

- اذا كنت تريدها.

- اردتها دائماً وما زلت اريدها.

- إذاً اذهب. . ها هو العنوان الذي سيوصلك الى بيتي بعد ثلاث ساعات في السيارة.

- لست ادري كيف اشكرك.

- قدم السعادة لافريل.

ما ان خرج فرنسوا، حتى التقط كارلوس الورقة التي كتب عليها عنوان حبيبته ليصيح بفرح : ثلاث ساعات واحقق ما اصبو اليه.

دهشت افريل عندما مرت عطلة الميلاد بسرعة، وكان هذا بفضل السيدة اشباي التي اصرت على ان لا تتركها لوحدها، كما اصرت على مرافقتها لزيارة عدة مرضى، لتقديم الهدايا والطعام لكل منهم.

اكتفت افريل للغداء بتسخين بعض الطعام، اما طعام العشاء فقد قررت ان يكون شهياً لذيذاً، وهذا ما خفف من حزنها الذي بدا على وجهها، وما ان وضعت صينية الطعام في الفرن ثم عادت الى غرفة الجلوس حتى قفزت السيدة اشباي من مكانها قائلة :

- اشعر بالذنب وانت تقومين بأعباء الطبخ وحدك.

- انت تقومين بهذا العمل طوال السنة.

- اعلم هذا. . لكن الطبع يغلب التطبع، على الاقل دعيني اضع لك فنجان قهوة.

- قبل العشاء؟

- فليكن حساءً ساخناً اذن. لدينا بعض المرق من الديك الرومي.

وافقت افريل على ذلك مع انها لم تكن جائعة، جلست في مقعدها تفكر بفرنسوا وباتريسيا، متمنية لو انها شاهدت وجه صديقتها عندما اراها فرنسوا ترخيص الزواج، وجعلتها هذه الفكرة تبتسم، لو انها لم تهرب الى «توركواي» لما قابلت فرنسوا، ولو لم

تلتق به لكانت باتريسيا الى الآن عزلاء. يا لسخرية القدر الذي ربط سعادة شخصين بسوء طالعها هي. فهل السعادة عادة تبنى على حساب شخص آخر؟

ارتجفت من البرد، فاقتربت نحو النار، كانت ترتدي رغم خلو البيت من الزائرين اجمل اثوابها، ثوباً ليلكي اللون يلائم لون شعرها الجميل الذي انسدل بنعومة فوق كتفيها كغمامة حرير.

كان الشارع خارجا يطبق عليه الصمت الى ان قطعه صوت محرك سيارة يتوقف، يتبعه صفقة باب فرنين الجرس. ارادت الوقوف لكنها عادت فجلست عندما شاهدت السيدة اشباي تقصد الباب، ولم يلبث ان تعالت اصوات في الردهة فوقفت افريل مبتسمة لترحب بالزائر، لكن الابتسامة انطفأت على شفتيها عندما تحركت السيدة اشباي ليظهر امامها رجل ذو شعر اسود يقف خلف السيدة اشباي. .

ماذا يفعل كارلوس هنا؟

بدا متعبا مرهقا، ارادت التفوه بكلمة، لكن الكلمات كلها وقفت في حلقها عاجزة عن الخروج، فكان ان ارتدت الى مقعدها جالسة وهي سعيدة لانها قدرت على اخفاء ارتجاف اطرافها.

قالت السيدة اشباي :

ـ سأكون في المطبخ اذا احتجتني.

وأغلقت الباب وراءها، فاستند كارلوس عليه، ويداه في جيبي معطفه، قالت افريل بصوت قاس :

– اعتقد ان باتريسيا زودتك بعنواني. لو كانت باتريسيا هنا لقتلتها جزاء فعلتها.

الطبيب بلير هو الذي اعطانيه، انا على علم بكل شيء.

– كل شيء؟

– اجل. . لا سيما الضرر الذي اصاب دماغك. لم يكن من حقك اخفاء الامر عني.

ابتلعت ريقها بصعوبة دون ان تنظر اليه.

– انا الآن في اتم صحة وعافية لذا لا اجد فائدة ترتجى من التحدث عن الامر.

– الامر لم ينته انما بدأ الآن.

خلع معطفه بصمت ثم وضعه على الكرسي متابعاً :

– ارجو ان لا تمانعي لكنني ارتديه منذ ان غادرت لندن.

– بالطبع لا امانع. . هل تريد شيئاً تشربه؟

– لا شكراً لك. . اريد فقط ان اتكلم معك.

– ليس لدينا ما نقوله.

انبأتها نظرته انه لن يبالي برأيها او بما ستقوله :

– حسنا يا كارلوس. . اذا كان الاعتذار سيريحك، فاعتذر وبعدئذ ارجو ان تتركني وشأني.

– انا مدين لك باكثر من الاعتذار.

بدأ يذرع الغرفة وقد بدا دون معطفه اكثر وسامة مما تتذكره، ليردف :

– لقد اسأت الظن عندما قرأت تلك العناوين في الجرائد فانا لم اتزوج يا افريل. . . لا من جولي ولا من غيرها.

شكت لحظة انها قد سمعت جيداً ما قاله. ثم رفعت عينيها ببطء شديد على امل ان لا يراها، لكن عينيه كانتا كعيني صقر تراقبان كل خطوة تقوم به. قالت والالم يعتصر قلبها :

– انت لم. . انت لست متزوجاً؟

– لم اتزوج بعد، ولهذا اتيت الى هنا.

– لكن جودي غاردنر. . لقد شاهدت عناوين الصحيفة. . كانت تقول انها تزوجت من مشهور في عالم السفن.

– انه رجل يوناني.

– فهمت. . .

– ما كان عليك الاستماع الى اقوال السيدة غاردنر الكاذبة.

تلاشت ابتسامته فجأة، وحل مكانها نظرة غضب وتابع :
- عندما افكر بما سببته من اذى. . اتمنى اتمنى لو.
تقدم منها وحدق في عينيها :
- لو اخبرتني انك مريضة يوم زرتك في توركواي. . . ما كنت لأفعل وقد رأيتك خارجة من غرفة الدكتور بلير. . .
- شككت بي ثانية، كما شككت بي دائماً !
- استحق كل ما تقولينه. لكنني كنت غاضباً ومتألماً، فقد جئت الى توركواي لأقول لك انني احبك ولكنك نحيتني وكأنني حيوان كريه. انا الآن اعرف السبب لكنني حينها كنت جاهلا السبب.
- لقد افترضت انني مثل كاترين.
- فقدت اعصابي يومها يا افريل، لكنني لم اعن ما قلته اطلاقاً، صدقيني.
- شكراً لك على قدومك الى هنا للاعتذار. . لكنني اتمنى عليك ان تذهب اذ ليس لدينا المزيد لنقوله.
- هناك الكثير بعد. احبك يا افريل، وانت تحبينني. . ارى هذا في وجهك، وفي تجنبك اياي. . انت تحبينني.
- لا احبك ! عد الى لندن يا كارلوس.
- اتقصدين ان الدكتور بلير كاذباً.
- انا اقول انه لا يعرف حقيقة شعوري. . يؤسفني انك صدقته.
- اتريدين ان اذهب حقاً.
- اجل.
قالت تلك الكلمات وهي تشعر بانها ستندم عليها طوال حياتها. لكن هذا افضل من ان يتحطم قلبها اكثر فاكثر. اذ لن تنسى ابداً انه ما كان ليأتي لولا فرنسوا كما لن تنسى ابداً سوء ظنه بها واعتبارها فتاة لهو. كيف لها الوثوق بحبه وهو لم يأتها الا بعد ان تحقق من براءتها من فرنسوا، فلو وافقت على الزواج منه لعاشت حياتها كلها وهي تخشى ان يسيء الظن بها يوماً إن قامت بعمل

ما. وهي لن تستطيع العيش وكأنها على حافة هاوية.
قال كارلوس بهدوء :
- حسن جداً. . سأذهب اذ لا داعي لتقولي انك لا تريدينني. . . لقد ذكر الدكتور بلير ان سبب صدك اياي كان اعتقادك انني مرتبط بجودي. والآن رغم انتفاء السبب الاول ما زلت مصرة على ابعادي عنك.
سار الى منتصف الغرفة ليلتقط معطفه. كان وجهه شاحبا وفمه مشدوداً. تمتم :
- قد أقبل شراباً ما.
- قد يضرك الشراب.
نظر اليها ثم انفجر قائلا :
- اذا كنت لا تستطيعين ان تكوني زوجتي. . فلا تحاولي اخذ مكان والدتي. !
- انت لم تأكل منذ ساعات. واذا شربت كثيراً ثم قدت سيارتك بمزاج عكر، فسوف تقتل نفسك !
- ما الفرق؟ اشعر وكأنني ميت فعلاً.
قال كلماته بصوت خفيض كأنه الفحيح، لكنه ترك في نفسها اثراً كبيراً ما كان ليحدثه لو صاح بتلك الكلمات صياحاً.
- لا معنى للحياة من دونك. . لكنني سأملأها لئلا تشفقي علي. . اما الآن فاجهل السبيل الى ذلك. . كنت طوال الطريق اتساءل عن ردة فعلك عندما تشاهدينني، لقد تصورت كل شيء إلا ان تقولي انك لا تحبينني.
- وأنا ما ظننتك ستقول انك تحبني.
- وماذا عن الايام التي قضيناها فوق اليخت؟ ام كانت تمثيلية ليس الا.
- السفن عالم قائم بذاته، ناسه غالباً ما يقولون او يفعلون شيئاً قد لا يفعلونه او يقولونه في الظروف العادية.

- لقد مضى على هذا زمن الآن. . ومع ذلك ما زلت احبك واريدك.

- مع ذلك انتظرت الى ان قال فرنسوا انك اسأت الظن بي.

- لقد عجل الدكتور بالأمور يوماً الى الامام. . بعد تركي لك في توركواي حاولت جهدي ان انساك، كرهتك وكرهت نفسي لأنني لم اتمكن من ابعادك عن افكاري، الله وحده يعلم كم حاولت، لكن الاسابيع مرت وزاد الامر سوءاً. وعلمت انني سأبقى على هذه الحال، لذا قررت رؤيتك ثانية لاقول لك انني بحاجة اليك، وانني ساقوم باي شيء على ان تتزوجيني. وكنت على وشك الذهاب الى توركواي ثانية عندما تلقيت مكالمة من وكيلي في طوكيو. . حيث اخبرني عن ضرورة مجيئي الى طوكيو للحصول على عقد ببناء عدة ناقلات عملاقة لذا لم استطع تأخير سفري. وهكذا سافرت الى اليابان على امل العودة بعد اسابيع قليلة، ولكن المفاوضات طالت وبقيت عالقاً هناك لشهرين. وعندما اتصلت بفندقك من طوكيو، قالوا انك تركت العمل هناك، فلم يبق امامي عندها الا الانتظار ريثما اعود الى لندن لأنني كنت على يقين من ان صديقتك لن تعطيني عنوانك فيما لو اتصلت بها من هناك. لقد عدت قبل الميلاد بيومين.

فرك عينيه بتعب ثم اردف.

- يوم السبت ذهبت الى الاستديو، فلم اجدها، فانتظرتها الى ان قال لي صاحب محل هناك انه رآها تغادر المكتب بصحبة رجل. عندها حسبتها قد سافرت لقضاء العطلة مما يعني انني لن اراها قبل انتهاء العطلة. اذن استطيع القول ان الدكتور قد وفر علي يوما واحدا لا اكثر.

علمت انه يقول الحقيقة لأن كلماته تدفقت من فمه بسهولة ويسر. فتقدمت نحوه خطوة، لكنه لم يلاحظ الحركة، استدار نحو الباب، فنادته :

- كارلوس !

كان صوتها ضعيفا جدا فلم يسمعه، فنادته ثانية، عندها استدار لينظر اليها. فرآها تمد له ذراعيها، تقدم نحوها خطوة ثم توقف قائلا.

- لا اريد شفقة يا افريل !

- لن تحصل عليها، لأنني أقدم لك حياتي كلها.

- اتعنين تولك هذا؟

قطع المسافة التي تفصلهما بخطوتين واسعتين، فضمها اليه بقوة وقد حفرت يداه ألماً في كتفيها والتمعت عيناه بدموع الانتصار.

- ولماذا انكرت علي هذا الليلة؟

- لقد ظننت انك اتيت هنا بسبب فرنسوا فقط، وانه لو لم يقل لك ما قالته السيدة فوستر لي. . لكنت الى الآن تظن انني. . . أنني. . .

- لا تقولي اية كلمة. . . بالله عليك، لا كلمات بعد الآن.

عانقها بشوق وجوع، مرتجف الجسد، خافق القلب بسعادة، كان شوقه اليها اقوى منه لذا امتدت اليها ذراعاه بقوة حيناً وبدفء آخر. اما هي فكانت ترتجف بين يديه ظمأى اليه لذا التصقت به بشغف واشتياق وهي لا تعي الا حاجتها اليه ورغبتها في ان تنصهر او تذوب فيه ذوبانا كلياً. بعد قليل دفعها عنه ممسكاً بخصرها ليسألها :

- كم من الوقت تحتاجين لتوضبي ثيابك؟

- الى اين ستأخذني؟

- الى المكان الذي كان علي ان آخذك اليه منذ وقت طويل، الى منزلي، بالطبع. . . فالغزل يأتي بالدرجة الثالثة لي.

- وما هي الدرجة الثانية؟

- رخصة زواج.

رفع يدها الى فمه يقبلها.

- لن نتمكن من طرد كل اشباح الماضي الا اذا اصبحت زوجتي.

- ولكن اشباحي رحلت الى غير رجعة.

- حبيبتي...

وجذبها الى صدره ثانية وقال «انت كل ما اريده في حياتي، انت، انت وحدك!»

لم تكن تأمل في سماع هذه الكلمات قط، لكن المستقبل قد فتح لها ذراعيه مشرقاً بهياً.

... انه مستقبلها مع كارلوس.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة